القاموس الإسلامي للناشئين والشباب



١٠

انتشار الإسلام في آسيا

مكتبة العبيكان

القاموس الإسلامي

للناشئين والشباب

١٠

انتشار الإسلام في آسيا

إعداد :

محمد علي الهمشري

السيد أبو الفتوح

علي إسماعيل موسى

دار أراكان

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهمشري، محمد علي

انتشار الإسلام في آسيا : محمد علي الهمشري، السيد أبو الفتوح، علي إسماعيل موسى – الرياض.

... ص؛ ..سم (القاموس الإسلامي للناشئين والشباب؛ ١٠)

ردمك: ٥–٣٩٠–٢٠–٩٩٦٠

١– العقيدة الإسلامية ـ معاجم ٢– الفكر الإسلامي ـ معاجم
٣– الحضارة الإسلامية ـ معاجم أ– أبو الفتوح، السيد (م. مشارك)
ب– موسى، علي إسماعيل (م. مشارك) جـ– العنوان د– السلسلة

ديوي ٣، ٢٤٠ ١٨/ ٠٦٨٩

ردمك: ٥–٣٩٠–٢٠–٩٩٦٠ رقم الإيداع : ٠٦٨٩ /١٨

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

القاموس الإسلامي للناشئين والشباب

إشراف :



مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله ومن سار على دَرْبه واتَّبعَ هداه إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فإن أسمى رسالة يكرّس الإنسانُ لها نفسه هي رسالة تربية جيل مسلم، يرعى اللهَ في شئون دينه ودنياه، ويحمل الأمانةَ للحفاظ على دستور الإنسانية الخالد، كتاب الله الكريم، وهَدْي رسوله الأمين ﷺ، ويسلك في هذه الحياة وفقا لقواعد السلوك الإسلامي الصحيح.

وواقع الأمر أن الاهتمام بالعلوم الإسلامية والتربية الدينية ليس مسئولية المدرسة وحدها؛ فالخطط الدراسية توزَّع على مواد التعليم المختلفة، والمناهج مزدحمة، وعدد الساعات المخصصة لكل مادة لا يقبلُ الزيادة،

والكتب المدرسية تقلَّصَت وظيفتُها في كثير من الأحيان. واقتصرَت على تقديم القدر ـ من المعلومات ـ الذي يَسمح بنجاح الدارس في الامتحان. ولا يَستطيعُ أحد أن يَتجاهلَ أن حاجة الناشئ المسلم ماسّة إلى مرجع وافٍ يجيب عن مختلف الأسئلة التي تَعرِض له في حياته اليومية، فضلا عن أن يُشْبِعَ ظمَأه للقراءة الحرة التي تجلبُ له المتعة، من خلال الاطلاع على محُدّدَات سلوك المسلم، في مجال الطهارة والعبادات وغيرها، إلى جانب الاطلاع على التراث الإسلامي، وأمجاد الإسلام على مر العصور.

ومن حاجة الشباب المسلم بعامة، والناشئينَ بخاصة، نَبعَت إذن فكرةُ إصدار هذا القاموس:

«القاموس الإسلامي للناشئين والشباب»

***

وفيما يلي مزيد من التعريف بهذا القاموس:

* إنه قاموسٌ متخصص، يُعالجُ المصطلحات الدينية اللازمةَ لتثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة لدى الناشئين والشباب في العبادات والمعاملات، ويوفّر لهم الزادَ اللازمَ عن أبرز معالم الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والقيم التي أرساها الإسلام، ورسَّخَ أصولَها.

وإذا كان العُرْفُ قد جرى على أن يكونَ القاموسُ مرجعًا يَرجعُ إليه القارئُ للكشف عن أصل مفردة من المفردات، وعن اشتقاقها أو عن معناها وكيفية استخدامها فإن هذا القاموسَ المتخصصَ يؤدي إلى جانب هذا وظيفة أخرى في مجاله؛ إذ يُعد مصدراً للقراءة المتصلة، وللمعرفة والمتعة في كل مَدْخل من المداخل التي يعالجها؛ فهو يشرحُ المفهومَ الديني الذي يتضمنه المدْخَلُ (المفردة)، ويعرِضُ لاستخدامه في الآيات القرآنية وفي الحديث الشريف، ويعالجُ الاشتقاق اللغوي من زاوية الثقافة والمعرفة الدينية بشكل أساس. ويستطيع المستفيدُ من القاموس أن يعتمدَ على المادة المعروضة تحت كلّ مدخل على أنها مصدر قرائي يضم مادة متكاملة، وليس مُجردَ ثَبت بقوائم للمفردات ومعانيها.

* وهذا القاموسُ يضع يدَ القارئ على المفردات أو المصطلحات الدينية الأساسية المتداولة في كتاب الله الكريم، وفي كتب الحديث وكتب الفقه، والتي تتجمعُ حولها المفاهيمُ الأساسية التي تشكلُ تفكير الإنسان المسلم وسلوكَهُ وممارساته.

وتلك المفرداتُ أوالمصطلحات هي «المدَاخلُ» المعروضةُ في أبواب القاموس.

ومن هنا فإنه عُمِد إلى وضع أجزاء تحوي بين دفتي كل جزء منها شرحًا وتفسيرًا لما استُغلق على الفهم، أو توضيحًا لما استتر. وهذه الأجزاء هي:

(١) العقيدة.
(٢) الطهارة.
(٣) الصلاة.
(٤) الزكاة.
(٥) الصوم.
(٦) الحج والعمرة.
(٧) الجهاد.
(٨) الأسرة المسلمة.
(٩) المعاملات الإسلامية.
(١٠) انتشار الإسلام في آسيا.
(١١) انتشار الإسلام في إفريقيا.
(١٢) انتشار الإسلام في أوروبا.
(١٣) نظم الحكم في الإسلام
(١٤) ازدهار العلوم والفنون الإسلامية.
(١٥) مفاهيم وقيم إسلامية.

* * *

* تعالَجُ في كل جزء من أجزاء القاموس - وبترتيب ألفبائي - المداخلُ الرئيسة التي تقعُ فيه، والتي وقعَ الاختيار عليها من قِبَل القائمين بإعداد مادة القاموس، وذلك بعد عملية مسح شامل للمصادر الأم في الموضوع، وبعد عملية انتقاء دقيقة تم من خلالها استبعادُ المداخل غير الأساسية، التي يتضحُ عدمُ شيوع استخدامها، وعدم حاجة الناشئة إليها بدرجة كبيرة في هذه الفترة من حياتهم.

* وقد رُوعِيَ في المداخل التي يقدمُها القاموسُ أن تكون في صيغة الاسم أو المصْدر، وليس في صيغة الفعل الثلاثي، كما هي الحالُ في معظم القواميس اللغوية؛ وذلك مراعاة للغرض من القاموس، باعتبار أنه قاموسٌ متخصص، ومراعاة لاحتياجات القارئ الذي يواجه - على الأرجَح - مُصطلحا دينيّا يريدُ تعرُّفَه، وهذا المصطلحُ غالبا ما يكونُ في صيغة المصدر، وربما لايستطيع القارئ أن يعودَ بالُمصطلح الذي يواجهُهُ إلى فعله الأصلي مجردًا، كما أنه - على الأغلب - لا يريدُ أن يدخلَ في متاهة الاشتقاقات اللغوية التي قد تبعده عن غايته، وتعوق استفادته المنشودة.

* ويحرصُ القاموسُ على تقديم الخرائط للشرح و التعريف كلما كان هذا ممكنا؛ دعمًا لأهدافه في كونه موجَّها لفئة معينة من أبنائنا الطلاب والطالبات، وهم الناشئة والشباب. فالغرض أن يستفيدَ منه الصغير والكبير ناشئا وشابا.

ولكي يكون استخدام القاموس يسيرًا على المستفيد منه حرصنا أن نقدم في الصفحات الأخيرة من كل كتاب بيانًا شاملا بمحتواه الذي يعرضُ لجميع المداخل التي يضمُّها الكتاب. وقد رُتبت هذه المداخل ترتيبا ألفبائيّا، ليسهُلَ على المستفيد العثور على موضع المدخل الذي يريد. وسوف يجدُ من خلال هذا البيان: العنوان، ورقم الصفحة التي تحويه.

وإذا ما أراد القارئ البحث عن مفردة ما فعليه أن يسقط أداة التعريف (ال) من المدخل - إن وجدت - حتى يعثر على الحرف الذي يبدأ به المدخل في الترتيب الألفبائي؛ فمفردة مثل (التأويل) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالتاء، و(الحساب) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالحاء (حساب)، و(الخاتم) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالخاء (خاتم).. وهكذا.

التأويل: تبدأ بالتاء (تأويل).

الخاتم : تبدأ بالخاء (خاتم).

الوحي : تبدأ بالواو (وحي).

* * *

* وإذا كان هذا (القاموسُ الإسلاميُّ للناشئينَ والشباب) - فيما نَحسب - محاولةً غير مسبوقة في صياغته وإعداده، وفي الفئة التي أعِدَّ من أجلها إعدادًا يتناسبُ في مادته ولغته وأسلوب عرضه مع احتياجاتها الفكرية والنفسية والتربوية، فإن مكتبةَ العبيكان ودارَ أراكان اللتين كان لهما فضلُ هذه المحاولة لتؤمنان بأنهما قد خاضتا التجربة بعزم وإصرار؛ مستهدفتين وجه الله، حريصتين على أن توفرا للشباب والناشئينَ مرجعًا ميسَّرًا، يكونُ لهم نعْمَ الرفيق في مسيرة حياتهم التعليمية والعملية.

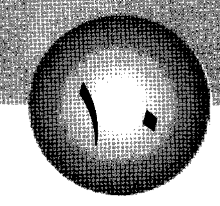
* * *

وإن «**العبيكان**» و«**أراكان**» لترجوان في الوقت نفسه أن تتلقّيا تعليقات السادة المربين وآراءَهم في هذا العمل، أملاً في تطويره في الطَبَعات القادمة بإذن الله تعالى.

إن نريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعنا، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه أنبنا. والحمدُ لله أولاً وآخراً..

أسرة تحرير
القاموس الإسلامي





انتشار الإسلام في آسيا



انتشار الإسلام في آسيا الصغرى

لم تكن آسيا الصغرى في مبدأ الأمر هدفاً استراتيجيا للجيوش الإسلامية في مطلع فجر الإسلام، فما كان الجيش الإسلامي ليشارك في معركة بدافع الغزو أو التوسع، وإنما خرجت تلك الجيوش في أول الأمر دفاعاً عن حِمى الإسلام، وحماية لظهره من حكام بيزنطة في مدن الشام الذين كانوا يوقعون المظالم بأهل الشام، ويحرضون مواليهم على العدوان على بلاد الإسلام في شمال الجزيرة العربية.. وهكذا اضطر العرب المسلمون للخروج للقاء الروم في أجنادين، ولحصار دمشق وفتح حمص، ولقاء الروم في معركة حاسمة باليرموك، وإلى إجلاء الروم تماماً عن بيت المقدس، وأصبحت بلاد الشام منذ فجر الإسلام على مدى أربعة عشر قرنًا مضت بلاد إسلام.

لكن بيزنطة القديمة ظلت تتآمر على دولة الإسلام، وقد هالها ما ضاع منها خلال سنوات قليلة؛ فقد ارتفعت راية الإسلام على مصر وعلى الشمال الإفريقي، وعزّ على الروم أن ترفرف راية الإسلام على مساحات شاسعة من العالم بعد أن انتصر المسلمون على دولة الفرس، وأقاموا الدولة الإسلامية في العراق وفارس ووصل حكمهم إلى الأندلس. وكان الروم دائماً يتحينون الفرص للانقضاض على دولة الإسلام، ومن ثَمَّ لم يكن

هناك بدٌّ من أن تسير الجيوش الإسلامية وراء الروم إلى أنطاكية ـ من مدن آسيا الصغرى ـ وإلى أرواء ورودس وغيرها من جزر البحر المتوسط (بحر الروم)، بل إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في حصار دام سبع سنوات ٥٤ - ٦١هـ/ ٦٧٤ - ٦٨١م، قنع المسلمون بالعودة إلى بلادهم موقنين بأن آسيا الصغرى ينبغي أن تظل دوماً تحت أعين حراس الإسلام.

كان الروم يعاودون عدوانهم على آسيا الصغرى، وكانوا ينجحون في الاحتفاظ بأجزاء منها لبعض الوقت. حدث ذلك في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان حكام الإسلام يقدرون خطر ذلك، فها هو ألب أرسلان السلجوقي يهبُّ لملاقاة الروم في آسيا الصغرى في موقعة ملاذكرد ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، ويأسر الإمبراطور الروماني/ رومانوس الرابع. وها هي قونية تغدو عاصمة للسلاجقة في سلطنتهم التي أقاموها في النصف الشرقي من آسيا الصغرى لتزحف بعد ذلك إلى الغرب.

وإذا كان الصليبيون - الذين ظلوا يضمرون الحقد للمسلمين خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة (من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي) بسبب ما حقّقه المسلمون من انتصارات في آسيا وإفريقية، بل في الأندلس أيضا - قد ظلّوا يتطلعون إلى استعادة بيزنطة في الشرق، وتذرعوا بذريعة الأماكن المقدسة لتستمر حملاتهم على الشرق وليحققوا أحلامهم فيه بإقامة ممالك صليبية على حدود شمالي شبه الجزيرة العربية في بيت المقدس وفي الرها وفي أنطاكية وفي طرابلس وغيرها، وكان الحماس

بنجاح الانتصارات التي يحققها إخوتهم لتصفية الوجود الإسلامي في الأندلس يدفعهم إلى المضي قدماً في مشروعاتهم الاستعمارية للشرق العربي، وكانت آسيا الصغرى هي الطريق، والقسطنطينية هي المعبر لمعظم الحملات الصليبية، وبخاصة حملة بطرس الناسك عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م، والحملة التي قادها بولدوين، واستولى فيها على الرّها، وأنشأ أول إمارة صليبية بها عام ١٠٩٨م، واستولى على أنطاكية عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م، ونجح في احتلال بيت المقدس، وأقام بها أول مملكة صليبية عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، جاءت هي الأخرى عن طريق آسيا الصغرى وعبر القسطنطينية إلى بلاد الشام، وتمكنت تلك الحملة من الانتصار على بقايا السلاجقة عند قونية بآسيا الصغرى ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، وحتى الحملة الصليبية الرابعة خلال الفترة ٥٩٥-٦١٥هـ/ ١١٩٨-١٢١٨م، جاءت هي الأخرى لتستولي على القسطنطينية عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م .

وهكذا كانت آسيا الصغرى خلال الفترة من ٤٩٠-٦١٥هـ/ ١١٩٦-١٢١٨م هدفاً مباشراً للحملات الصليبية الموجهة إلى قلب العالم الإسلامي وشهدت آسيا الصغرى فصولاً عظيمة من فصول الجهاد الإسلامي شارك فيها أتابكة الموصل بالعراق، وكذلك حكام ماردين وآل زنكي؛ حيث اقتحموا إمارة الرها وأسروا أعداداً من الصليبيين خلال الفترة ٥١٣-٥٣٩هـ / ١١١٩-١١٤٤م، كذلك شهد الشام نجاح نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي أمير الموصل في توسيع جبهة الجهاد ضد الصليبيين، بعد أن ضمّ إمارة دمشق إلى بلاده، وأعلن صلاح الدين الأيوبي نفسه سلطاناً على

بلاد المسلمين الموحدة، وانتصر على الصليبيين في موقعة حطين، ودخلت قوات المسلمين بيت المقدس في رجب ٥٨٣هـ/ سبتمبر ١١٨٧م.

وبدأ فصل آخر من فصول تحرير أرض الإسلام عندما استولت الدولة العثمانية على مصر والشام، فقضت على الدولة البيزنطية، بل انتصرت للإسلام، فقامت بمحاربة البلاد المسيحية في شرق أوربا ووسطها وغربها، ومدت سلطانها حتى فيينا في قلب أوربا، وبذلك قضت على آمال النصارى في العدوان على بلاد الشرق الإسلامي.

وفيما يلي عرض لبعض المعارك التي خاضها المسلمون في آسيا الصغرى لكي تظلل راية الإسلام تلك البقاع، ولتذود عن كيان الإسلام.

الرها:

مدينة تاريخية تقع ما بين مجرى الفرات ودجلة في شمال الجزيرة وإلى الجنوب الغربي من مدينة ديار بكر، وعلى مسيرة ٧٨ ميلاً منها. يرجع تأسيسها إلى القرن الرابع ق.م. إبان العصر السلوقي، وعرفت باسم أديسا، ثم دخلت في حوزة الرومان، وتحولت إلى قاعدة مسيحية. وتوالى تشييد الكنائس والأديرة بها حتى اشتهرت بمنشآتها الدينية وتحصيناتها، ثم دخلت في حوزة البيزنطيين. وفي عام ٧هـ - ٦٢٨م انتصر عندها هرقل على الفرس، ولم يمض على هذا التاريخ عشر سنوات حتى دخلت في حدود الدولة الإسلامية الصاعدة.

تعرف الرّها في المصادر العربية بالرهاء، والنسبة إليها رهاوي، ولقد فتح العـرب مـدينة الرها على يد القـائد عـيـاض بن غنم عـام ١٨هـ/ ٦٣٩م، وأصبحت تابعة لولاية الجزيرة، وقامت بها عدة إمارات شبه مستقلة، ونظراً لموقعها على تخوم الإمبراطورية البيزنطية أصبحت مثاراً لسلسلة من المنازعات، تتبادلها الأيدي فتخرب مساجدها، ثم تتبادلها الأيدي فتخرب كنائسها وهكذا. . ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي دام حكمها للبيزنطيين حتى دخول الصليبيين إلا في فترات استولى عليها فيها ألب أرسلان السلجوقي عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م بعد معركة ملاذ كرد التي أسِرَ فيها الإمبراطور الروماني رومانوس الرابع.

استولى الصليبيون على الرّها عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م، على يد جود فري، وأقام بها بولدوين ملك القدس أول إمارة صليبية في المشرق، وكان فتحها على يد عماد الدين زنكي ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م من أسباب قيام الحرب الصليبية الثالثة.

وفي عام ٥٧٨هـ أنزل الأيوبيون عندها أبشع هزيمة بالخوارزميين. وفي عام ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م خرّبها هولاكو في طريقه إلى الشام، وبعد عشر سنوات استردها السلطان بيبرس. وأخذ شأنها بعد هذا التاريخ في الخفوت.

وتقوم موضعها اليوم مدينة أورفا التركية، وتشتهر بصناعة الصوف والسجاد والمنسوجات القطنية.

أنطاكية:

مدينة تركية بلواء الإسكندرونة، تقع في الغرب من مدينة حلب، كانت ضمن سورية، وتم ضمها إلى تركيا في عام ١٩٣٩م مع كامل لواء الإسكندرونة. أسسها سلوقوس الأول، أحد قواد الإسكندر، وجعلها عاصمة الإمبراطورية السورية نحو عام ٣٠٠ق. م. واشتهرت بحياة البذخ والفنون، ولقبت ملكة الشرق.

كما ازدهرت إبّان العصر الروماني، وكانت من المواطن الأولى للمسيحية في الإمبراطورية الرومانية.

استولى المسلمون على أنطاكية عام ١٧هـ/ ٦٣٨م في خلافة عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - على يد أبي عبيدة بن الجراح - رضي اللّه عنه - بعد أن هزم الجيش الروماني الذي تحصن بها، فحاصرها حتى صالح أهلها على الجزية والجلاء، ثم نقض أهلُها الصلح، فأعاد فتحها عياض بن غنم وحبيب بن مسلم الفهري.

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي سقطت في يد الإمبراطور نقفور البيزنطي، ثم استعادها بنو عقيل أصحاب الموصل، ثم السلاجقة،

وكانت ميداناً لعدة معارك بين المسلمين والنصارى إبان الحروب الصليبية، ثم استردّها بصفة نهائية الظاهر بيبرس عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م

ذات الصواري: ٣٤هـ / ٦٥٤م

موقعة بحرية في جنوب غربي آسيا الصغرى، تمت في عهد الخلفاء بين الأسطول الإسلامي وأسطول الروم. كان قائد الأسطول الإسلامي فيها عبد اللّه ابن أبي السرح الذي خرج بسفنه من رشيد بمصر قاصداً ملاقاة أسطول الروم. وفي الوقت نفسه كان بسر بن أبي أرطأة القائد الإسلامي قد خرج بسفنه من صور بالشام وتلاقى القائدان المسلمان في البحر قرب فينكس أو فونيكه في جنوب أنطاكية، وهناك دارت معركة ذات الصواري التي قُضي فيها على البحرية البيزنطية في شرق بحر الروم (البحر المتوسط) لزمن طويل. وكان قائد الأسطول البيزنطي في المعركة قسطنطين بن هرقل.

وهكذا ساد المسلمون خلال العصر الراشدي سواحل بحر الروم من طرابلس الشام إلى قرطاجنه على الساحل الإفريقي، وكانوا قد أخذوا جزر أرواد وقبرص ورودس، وانتزعوا السيادة على الحوض الشرقي لذلك البحر.

عمورية ٢٢٣هـ / ٨٣٨م

مدينة بآسيا الصغرى، كانت تابعة لدولة الروم بيزنطة، وتقع شمالي أنطاكية وغربي قونية.

كانت عمورية مسقط رأس ثيوفيل الإمبراطور البيزنطي، وقد قام هذا الإمبراطور الذي كان معاصراً لخلافة المعتصم الخليفة العباسي في بغداد بمهاجمة مدينة زبطرة التي كانت مسقط رأس الخليفة المعتصم، وقتَل من بها من الرجال، وسبى النساء، وأغار كذلك على أهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين، ومَثَّل بمن وقع في يده من المسلمين، وسَمَلَ عيونهم، وقطع أنوفهم وآذانهم.

وكان من بين النساء امرأة هاشمية كَبُرَ عليها الضيم والقسوة، فصاحت: وامعتصماه.

ونقل بعض الحاضرين خبر تلك الصيحة إلى المعتصم، فأجاب الخليفة: «لبيك يا أماه!».

وصمّم المعتصم على تأديب ثيوفيل، واختيار عمورية التي كانت مسقط رأس ثيوفيل، وكانت أشرف عند البيزنطيين من القسطنطينية. وسار المعتصم بنفسه ومعه خِيرة قواده عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م.

وفتحت عمورية بأيدي المسلمين، وثأر المعتصم لمن نُكِّلَ بهم من المسلمين والمسلمات واحترقت المدينة.

وقد أشاد أبو تمام الشاعر العربي المسلم بهذا النصر في قصيدة، منها:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حدّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعبِ

يا يَوْمَ وقعةِ عمورِيةَ انصرفت ... عنك المنى حُفَّلا معسُولَةَ الحَلَبِ

ومعركة عمورية كانت من قبيل الضربات التخريبية السريعة التي عرفت في التاريخ باسم (الشواتي والصوائف) التي اقتصر الجهاد عليها في علاقة الدولة العباسية بدولة الروم في معظم الأحوال.

القسطنطينية «الآستانة/ إستانبول»:

كانت حاضرة الدولة البيزنطية على الشاطئ الأوربي لمضيق البوسفور، وتطل على بحر مرمرة، ثم أصبح اسمها بعد ذلك الآستانة (إستانبول). وهي المدخل إلى البحر الأسود على مضيق البوسفور.

أراد معاوية بن أبي سفيان خلال الصراع الذي كان يدور بين الدولة البيزنطية والمسلمين أن يضرب ضربة قوية يقصم بها ظهر الإمبراطورية البيزنطية، فقرر الاستيلاء على العاصمة (القسطنطينية)، مدينة قوية الأسوار، محكمة الحصون، ودام حصار المسلمين لها نحو سبع سنوات، من عام ٥٤- ٦١هـ/ ٦٧٤-٦٨١، وكان على رأس جيش المسلمين قواد عظام، هم يزيد بن معاوية، والصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، وعبد اللّه بن الزبير، وعبد اللّه بن عمر، وابن عباس رضي اللّه عنهم أجمعين.

ودارت معارك شرسة بين المهاجرين والمدافعين، وقاومت القسطنطينية الحصار، وانسحب الأسطول الإسلامي آخر الأمر.

وانتهز الروم الفتنة والحروب الداخلية التي أعقبت وفاة معاوية فهاجموا ثغور المسلمين واستولوا على بعضها، وهاجموا ساحل سورية وهدموا مدن

عسقلان وصور وعكا، لكن عبد الملك بن مروان استطاع أن يستردَّ ما كان قد تمَّ الاستيلاء عليه من الثغور. ويجدَّد الأمل في فتح القسطنطينية مرّة أخرى في عهد الوليد ابن عبد الملك فحاصرها، لكنْ حال دون نجاح الحصار مصاعب كثيرة.

وأخيراً تمكن السلطان محمد الثاني (الفاتح) بعد عدّة قرون من فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٣٥م، وسماها إسلام بول، أي مدينة الإسلام. وكان ذلك الفتح علامة بارزة في تاريخ الانتصارات التي حققها المسلمون بعد ذلك في أوربا وغيرها.

(انظر محمد الفاتح)

ومضت قرابة خمسة قرون كانت فيها راية الإسلام خفاقة على شرق أوربا.. وجاءت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢ - ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م، وفيها وقفت تركيا إلى جانب الألمان ضد الحلفاء، وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا وتركيا، ووقعت اتفاقية الهدنة مع الحلفاء في ٣٠ من أكتوبر ١٩١٨م، وبمقتضى تلك الاتفاقية احتل الحلفاء المضايق واستانبول، ووقع السلطان محمد السادس معاهدة ١٣٢٩هـ/ ١٩٢٠م معترفاً بذلك الاحتلال إلى جانب اعترافه باحتلال اليونان لأزمير.

(انظر: انتشار الإسلام في أوربا)

لكن مصطفى كمال أتاتورك ـ مؤسس حزب تركيا الفتاة ـ قاد الجيوش التركية لتحرير بلاده من الاحتلال الأجنبي، وانتصر انتصاراً حاسماً في

موقعة نهر سقاربة، فأخرج اليونانيين من آسيا الصغرى واحتل أزمير، واضطر الإنجليز والفرنسيين إلى الانسحاب من إستانبول. واعترفت الدول باستقلال تركيا بحدودها التي تقع على نهر مارتيز في البلقان، والتي تدخل ضمنها مدينة أدرنة، وذلك بمعاهدة لوزان في ٢٤ من يوليو عام ١٩٢٣م.

(انظر: أدرنة عاصمة الدولة العثمانية)

موقعة ملاذ كرد ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م

تقع ملاذ كرد ضمن إقليم آسيا الصغرى قرب الحدود الشرقية بين تركيا وإيران في الوقت الحاضر، إلى الشمال من بحيرة وان.

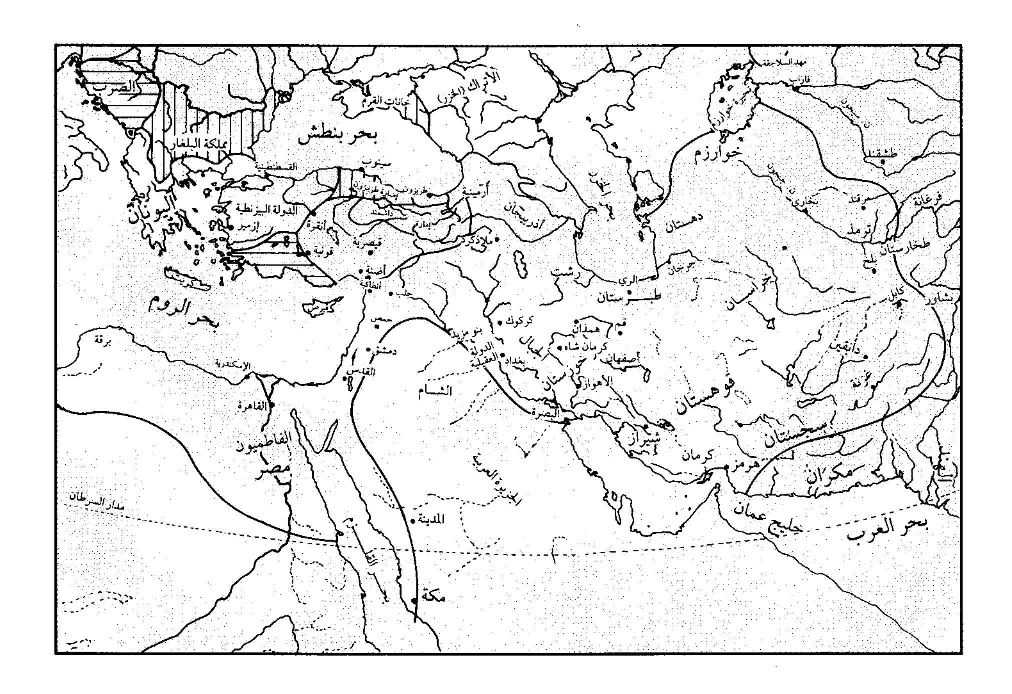
وقد وقعت موقعة ملاذ كرد بين جيش السلاجقة بقيادة ألب أرسلان والجيش الروماني بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجنيس الذي ألقى بقواته وبأخلاط من العسكر النصراني الذي استنجد به ليقف في وجه زحف السلاجقة. وحاول ألب أرسلان قائد الجيش السلجوقي عقد صلح مع الإمبراطور الروماني، لكن الإمبراطور رفض هذا العرض، وادّعى أن الصلح سيتم في الرّيِّ عاصمة السلاجقة ـ وكانت تقع في بلاد فارس جنوبي بحر الخزر ـ إذ كان يعتقد أنه سيوقع بالسلاجقة هزيمة كاملة بعد أن يتوغل في بلاد المسلمين.

لكن السلاجقة نجحوا في هذه المعركة نجاحاً ضخماً فمزّقوا شمل جيش الروم، وفرشوا أرض المعركة بالضحايا، وأسروا الإمبراطور نفسه واضطر قومُه أن يفتدوه بفدية عظيمة، وتمّ صلح اعترف فيه رومانوس بما فتح المسلمون من أجزاء آسيا الصغرى، وتعهد بدفع جزية سنوية للمسلمين.

وتُعَدُ ملاذكرد نقطة تحول في التاريخ الإسلامي بعامة، وتاريخ غربي آسيا بخاصة؛ فقد يسَّرت القضاء على نفوذ الروم في أكثر أجزاء آسيا الصغرى.

وكان الأتراك العثمانيون من بين الطوائف التي اشتركت في المعركة، فأقاموا في آسيا الصغرى، واضعين بذور الدولة العثمانية التي ظهرت في الأفق فيما بعد، وقضت على بقايا الروم بآسيا، وفتحت القسطنطينية عام ٨٥٦هـ / ١٤٥٣م.

وكان انتصار المسلمين مثيراً لأوربا، فكان من العوامل التي سببّت الحروب الصليبية.



هرقلة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م

كانت مدينة بجنوبي آسيا الصغرى (بيزنطة)، تقع إلى الجنوب الغربي من قونية. ومن المعروف أن سقوط الدولة البيزنطية تماماً أمام المسلمين لم يتم إلا بعد أن سقطت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية على يد محمد الفاتح عام ٨٥٦هـ/ ١٤٥٣م.

ومع ذلك فمنذ عهد الدولة الأموية في خلافة معاوية بن أبي سفيان مؤسس تلك الدولة وما بعدها كانت المعارك سجالاً بين المسلمين والبيزنطيين على أرض آسيا الصغرى (بيزنطة).

وفي عهد الدولة العباسية سيَّر الخليفة المهدي ابنه الرشيد ومعه القائد العظيم يزيد بن مزيد الشيباني ضمن الغزوات التي عرفت في التاريخ باسم (الصوائف) على رأس مائة ألف مقاتل في عام ١٦٥هـ/ ٧٨٢م إلى بيزنطة. ونجح الرشيد وجيشه في الوصول إلى خليج القسطنطينية، وأوقع الرعب في قلب إمبراطورة الروم إيريني، أرملة الإمبراطور ليون الرابع. وتَمّ الصلح بناءً على طلبها وتعهدت بدفع جزية قدرها ٧٠,٠٠٠ دينار كل عام، وعلى أن تقدم لجيش المسلمين الأدلاء والأسواق في هدنة مدتها ثلاث سنوات.

لكن نقفور قائد الجيش البيزنطي الذي وصل إلى السلطة وأصبح إمبراطوراً للروم نقض العهد الذي أعطته إيريني، ونقض الهدنة، وامتنع عن دفع الجزية، فاضطر الرشيد إلى العودة بجيش هائل حتى وصل ،هرقلة وعسكر حولها وفتحها، وأخذ من نقفور الجزية عن أهله ورجاله، وكان ذلك عام ١٦٥هـ٧٨٢/ م.

* أبو أيوب الأنصاري:

صحابي جليل، اسمه خالد بن زيد بن كلب الأنصاري، ابن أبي أيوب من بني النجار، رُوي أن النبي ﷺ نزل في داره يوم جاء المدينة مهاجراً، وكان قد دخلها على ناقته فأمسك بها بعضهم وطلب إليه النزول فقال:

«دعوا الناقة فإنها مأمورة»، فبركت على باب أبي أيوب، ونزل النبيُّ ﷺ عنده حتى بنى المسجد. وقد روى له البخاري ومسلم ١٥٥ حديثاً.

عاش أبو أيوب حتى عاصر قيام الدولة الأموية، فرحل إلى دمشق، واشترك مع يزيد بن معاوية في الحملة البحرية التي قادها لفتح القسطنطينية عام ٤٨هـ/ ٦٦٨م. وكان في الجيش ابن عباس وعبد الله بن الزبير، وغيرهم من الصحابة والتابعين رضي اللّه عنهم، ودام حصار القسطنطينية حتى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م، فلم يتمكنوا من فتحها. وتوفي أبو أيوب في أثناء الحصار، ودفن بالقرب من سور المدينة.

* شخصيات إسلامية في آسيا الصغرى

ألب أرسلان:

سلطان سلجوقي، اسمه محمد بن داود، وكنيته أبو شجاع عضد الدولة، حفيد سلجوق رأس السلاجقة. ولد عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م وتولّى على خراسان في عهد أبيه، وخلف عمه طغرل بك عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م على السلطنة بموافقة الخليفة القائم العباسي، فعمل على توطيد دولته بالغزو والمصالحة فاستولى على بلاد الكرج، وأخضع ملك كرمان، واستولى على حلب، ودخل أذربيجان. وفي عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م التقى الإمبراطورَ البيزنطي، ديوجن (رومانوس الرابع) في معركة فاصلة عند ملاذ كرد في آسيا الصغرى، أخذ فيها الإمبراطور أسيراً.

وزوّج ألب أرسلان ابنه ملكشاه إلى ابنة خاقان ملك ما وراء النهر، وابنه الثاني أرسلان شاه بابنة السلطان الغزنوي، ونقل ألب أرسلان عاصمته إلى مرو، وكان طغرل بك قد جعل نيسابور عاصمة للسلاجقة.

وفي عهده ظهرت الحركة الباطنية، ولكن الحسن الصباح الذي دخل في خدمة السلاجقة لم يبرز خطرُهُ إلا بعد وفاة ألب أرسلان الذي عمل جاهداً على تقوية الخلافة العباسية، حتى أن أمير مكة قطع الخطبة عن الخليفة المستنصر الفاطمي عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م، وأقامها للقائم العباسي.

وزوّج ألب أرسلان ابنه ملكشاه إلى ابنة خاقان ملك ما وراء النهر، وابنه الثاني أرسلان شاه بابنة السلطان الغزنوي، ونقل ألب أرسلان عاصمته إلى مرو، وكان طغرل بك قد جعل نيسابور عاصمة للسلاجقة.

وفي عهده ظهرت الحركة الباطنية، ولكن الحسن الصباح الذي دخل في خدمة السلاجقة لم يبرز خطرُهُ إلا بعد وفاة ألب أرسلان الذي عمل جاهداً على تقوية الخلافة العباسية، حتى أن أمير مكة قطع الخطبة عن الخليفة المستنصر الفاطمي عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م، وأقامها للقائم العباسي.

توفي ألب أرسلان عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢، وخلفه ابنه ملكشاه على العراق وفارس، وابنه تمس على سورية.

(انظر موقعة ملاذكرد)

بُسْر بن أبي أرْطأة: ... - ٨٦ هـ/ ... - ٧٠٥ م

عامري قرشي، هو أبو عبد الرحمن، ولد بمكة قبل الهجرة، وأسلم صغيراً، وروى عن النبي ﷺ حديثين في مسند الإمام أحمد. ثم كان من رجال معاوية بن أبي سفيان، وشهد فتح مصر، ووجهه معاوية سنة ٣٩هـ في ثلاثة آلاف إلى المدينة فأخضعها، وإلى اليمن فدخلها، فولاه معاوية على البصرة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، فمكث يسيراً وعاد إلى الشامِ، فولاه البحر، فغزا الروم، وكان قد خرج من صور بأسطوله ليلتقي ابنَ أبي السرح في البحر قرب فونيكس، وشاركا في معركة ذات الصواري عام ٣٤هـ/ ٦٥٤م.

أصيب بعد ذلك في عقله، فلم يزل معاوية مقرباً له ، مدنياً منزلته وهو على تلك الحال إلى أن مات في دمشق، وقيل في المدينة عن نحو تسعين عاماً.

محمد الفاتح «محمد الثاني» وفتح القسطنطينية:

من أقوى الشخصيات التي تولت السلطنة العثمانية، وهو أعظم معاصريه، ومن أكبر شخصيات العالم. ولد في ٢٦من رجب ٨٣٣هـ/ ٢٠ من أبريل ١٤٢٩م، وتولى الملك وهو في الحادية والعشرين من عمره.

كان محمد الفاتح قد تدرب على أمور الملك قبل وفاة والده السلطان مراد الثاني الذي كان قد اهتم بتربيته اهتماماً خاصّا وأحسن اختيار من يقوم على تعليمه.

نشأ مهتما بدراسة التاريخ، مغرماً بقراءة سير الأبطال والعظماء، وكان محبا للفنون، ويتذوق الأدب ويحفظ الشعر الجميل، إلا أنه كان مغرماً بفنون الحرب، وما كان يعلم بأي اختراع حربي إلا كان السّبّاقَ إلى الاستفادة منه.

عاش محمد الثاني (الفاتح) في جو ساد العالمَ فيه خشونةٌ وقسوة، في وقت كله حماس ديني وتعصب في آسيا وأوربا؛ حيث كان النضال بين الصليبيين والإسلام قد امتد لفترة طويلة.

كانت الثورات السياسية قد تعددت داخل الإمبراطورية الرومانية، وكان

النزاع على العرش بين أفراد العائلة الإمبراطورية مستمرا، وكانت الدولة البيزنطية تحت رحمة الجنود المرتزقة والتدخل الأجنبي في شؤونها من البنادقة - أمراء البندقية - ومن الجمهوريات الإيطالية، وكانت الدولة قد فقدت اهتمامها بالشئون البحرية. وكان من أهم العوامل التي زادت في ضعف الدولة البيزنطية كذلك نمو دولتي الصرب والبلغار، وتقلص ممتلكات بيزنطة في البلقان.

كانت القسطنطينية حاضرة الدولة، تزهو بجمال موقعها وبمبانيها المحمية، وبميادينها العامة المتسعة، وبواباتها وتماثيلها وكنائسها الفخمة، وبأسواقها وملاعبها وحماماتها، وكانت لها حصون منيعة ومعاقل مشيدة، وقفت أمام البرابرة من هونٍ وأفار وبلغار وروس وصقالية، وصمدت أمام الغزاة من فرس وعرب وترك، وتمتع سكانها بامتيازات عظيمة؛ فهم معفون من الضرائب، وتوزع عليهم الحكومة بالمجان ما يلزمهم من الخبز والنبيذ والزيت. كما كانت مدينة صناعية وتجارية عظيمة بحكم موقعها الجغرافي.

وكانت السنة الأولى التي تولى فيها السلطان محمد الثاني قد اقترنت بأفول نجم القسطنطينية وسوء الأحوال فيها؛ فقد كانت حال المدينة قد ساءت للغاية ولم يكن لديها من الجنود المدربين إلا العدد القليل، وكذلك كان حال الأسطول البيزنطي الذي لم يزد عدد السفن فيه عن بضع سفن قليلة. وكان السلطان محمد الثاني قد وطد العزم على فتح القسطنطينية.

وعبثاً ذهبت محاولات قسطنطين لطلب الدعم والعون من أوربا طالبة الغوث والنجدة، بسبب الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية ؛ فالأولى أرثوذوكسية والثانية كاثوليكية، واقتصر الأمر على وعد من البابا في رومة بإرسال أسطول، شريطة أن تقبل الكنيسة الشرقية الخضوع رسميا لسلطان البابا، فقامت ثورة في القسطنطينية تعارض ذلك الخضوع أو تلك التبعية.

واستعد السلطان محمد الفاتح للحرب ولفتح أم المدن وملكتها، وعمل على استقرار الأمور في أراضي الدولة العثمانية، فأخضع الثورات الداخلية في ولاية قرمان، وأصلح من شئون سلطنته في آسيا الصغرى، وعقد صلحاً في أوربا مع ملك المجر، ضَمِن به سلام حدود السلطنة العثمانية مدة ثلاث سنوات، وهدأ من رُوع صقالية البلقان. . وحوّل السلطان محمد الفاتح مدينة أدرنة عاصمة العثمانيين في أوربا إلى مصنع هائل للأسلحة، وجعلها مركز الجيوش المتجمعة من كل أنحاء دولته، وبنى داراً لسبك المدافع الكبيرة.

واستمرت استعدادات كل من الأتراك والبيزنطيين طوال وقت الشتاء، وجاءت إلى القسطنطينية بعض الإمدادات الضعيفة من البندقية ومن جنوة، وأجمعت كلمة الجميع من إغريق وبنادقة وجنويين وكاثوليك وأرثوذكس على الدفاع عن القسطنطينية إلى آخر رمق من حياتهم، وقرر الإمبراطور وضع سلسلة لإغلاق القرن الذهبي أمام السفن الفاتحة.

وكان حماس الجيش العثماني للقتال عظيماً، وكان عدده كبيراً، وكانوا

يؤمنون بأنهم يقومون بجهاد مقدس يبتغون المثوبة من اللّه، وكان بين الجيش مشايخ وعلماء ودراويش يُقَوُّون روح الجهاد والحماس في الجنود.

وظهر الجيش العثماني في الخامس من أبريل أمام أسوار القسطنطينية المنيعة وتمكن العثمانيون من نصب مدافعهم الضخمة القوية أمام الأبراج، وأخذوا في ضرب المدينة، ودق أسوارها بقنابل زِنَتُها مائة رطل. ورغم أن سفن النصارى قد أظهرت جَلَدًا وصبراً كبيرين، وكان بوسعها إصابة سفن العثمانيين، إلا أن السلطان محمد الفاتح كان مصمماً على النصر.

واشتبك الأسطول العثماني بعدد من سفن جنوة، لكنها لم تفلح في إقصائها عن معاونة المدينة، وفكر محمد الفاتح في إدخال جانب كبير من أسطوله إلى داخل القرن الذهبي عن طريق البر، ونجح في نقل ٧٠ سفينة من البوسفور إلى القرن الذهبي في الوقت الذي واصلت فيه المدفعية العثمانية ضرب القسطنطينية، وضاق الخناق على قسطنطين ففكر في الهرب.

وفي ٢٧من مايو ١٥٤٣م/ ٩٥٠هـ، بدأ الهجوم العام على المدينة فاقترب الأسطول العثماني من أسوار المدينة، وهاجمها من ناحية القرن الذهبي، وبدأ الهجوم على الأسوار بواسطة الجنود، وتسلقوها عند بزوغ الفجر فأحدثوا بالدفاع ضرراً جسيماً، واخترقوا الخنادق، وهاجموا السور الخارجي، واشتبكوا برجال الدفاع، وأحدثوا في الدفاع ثغرات، وهاجم الإنكشارية داخل المدينة، وأزالوا علم الإمبراطور وعَلَمَ البندقية، ورفعوا

العلم العثماني. وانتصر محمد الفاتح بفضل اللّه ثم بفضل قوته وعزيمته وحماس جنوده وتفوق مدفعيته، فوقعت المدينة تحت أقدامه. ودخل السلطان المدينة ظُهراً يمتطي صهوة جواده في موكب حافل، يتبعه وزراؤه وقواده وجنوده، وسار في الشارع المؤدي إلى كنيسة آيا صوفيا، وترجَّل أمام الباب وانحنى، ووضع حفنة من التراب على رأسه خضوعاً للّه وشكراً، وطلب من أحد المؤذنين أن يؤذن للصلاة، وأصبحت آيا صوفيا مسجداً جامعاً من أعظم مساجد الإسلام.

الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي

يدل التاريخ على أن المسلمين في الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي كانوا في الأصل مسلمين يعيشون في أراضٍ إسلامية مستقلة، زحف عليها الروس واحتلوها، وجعلوها ضمن الاتحاد السوفيتي الذي انهارت قواعده في الأعوام الأخيرة، وظهرت بدلاً عنه الجمهوريات المستقلة، التي يُعَدُّ قيامها نصراً عظيماً من اللّه لسكان تلك الجمهوريات الذين عانَوُا القهر الديني والاضطهاد لسنوات طويلة تحت عنت روسيا القيصرية، ثم تحت نير النظام الشيوعي؛ فقد كانت روسيا قبل النظام الشيوعي وبعده دولة عدوانية، تركز زحفها على جيرانها، ابتداءً من القرن التاسع عشر خصوصا، فضمت منطقة جورجيا إليها عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، واعترفت إيران بذلك في المعاهدة التي وقعتها مع الروسيا عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وضمت روسيا مناطقَ تركستان إليها عام ١٢٤١هـ/

١٨٢٦م نتيجة للحرب التي وقعت بينها وبين إيران في تلك السنة.

وفي عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٤م ضمت روسيا إليها مناطق الشركس والقوقاز التي تمتد من البحر الأسود إلى بحر قزوين، بل ضمت كل المناطق التي تقع بين منغوليا وقزوين، وكانت هذه المناطق إسلاميةً قبل استيلاء الروس عليها.

وسلك الروس في سياستهم لتلك المناطق سياسة القضاء على الهوية الوطنية لهذه الجمهوريات لغة وشريعة وجعلتها جزءاً من الروسيا، بل لجأت إلى دفع أعداد كبيرة من العناصر الروسية إلى المناطق الإسلامية، وتهجير عدد كبير من السكان المسلمين إلى مناطق أخرى لخلخلة التجمع الإسلامي، فنقلت المسلمين إلى براري سيبريا وأواسط آسيا، وشحنت بهم أذربيجان وتركستان والقرم.

وكانت أهم المناطق الإسلامية التي ضمت إلى بلاد الاتحاد السوفيتي السابق أوزبكستان وتركمانستان وجورجيا وطاجيكستان وأذربيجان وأرمينية وقيرغيزيا وكازاخستان.

والمسلمون في الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي يمثلون نسبة خمس السكان في تلك المناطق، وهم يتزايدون بنسبة كبيرة، ويقدر عددهم بأكثر من ٥٠ مليون مسلم. ومع انحلال الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية، وممارسة الحرية الدينية يتطلع المسلمون في الجمهوريات المستقلة إلى العالم الإسلامي لتوثيق الروابط مع دوله وشعوبه التي لا تنسى أن من بين سكان

تلك المناطق كان علماء أفاضل وأساتذة أجلاّء أدّوا للإسلام خدمات جليلة، منهم الإمام البخاري صاحب الصحيح، والثعالبي وابن سينا والترمذي صاحب الجامع الصحيح في الحديث، والجورجاني مؤلف الذخيرة، أوّل دائرة معارف طبية في التاريخ، والبيروني الرياضي الفلكي الطبيب الكيميائي المؤرخ، والنسائي والنسوي والزمخشري والتفتازاني والسكاكي وأبو زيد البلخي.. وغيرهم من الأئمة الذين يذكر فضلهم على نشر الإسلام وخدمة أهدافه السامية.

أذربيجان:

إحدى الجمهوريات الإسلامية التي أعلنت استقلالها عقب انهيار الاتحاد السوفيتي في أواخر عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م، وهي واحدة من ثلاث جمهوريات سوفيتية سابقة، تقع حول بحر الخزر هي (جورجيا وأرمينية وأذربيجان). وتشغل أذربيجان أقصى الطرف الجنوبي من الاتحاد السوفيتي الأوربي سابقاً، كما أنها تقع فيما وراء سلسلة جبال القوقاز العظيمة المعروفة باسم (قوقاز البولشوي). ويقدر عدد سكانها بستة ملايين ونصف مليون نسمة. ولأذربيجان أهمية خاصة بسبب منتجاتها القطنية والنفطية، ولأنها البوابة إلى إيران وآسيا الجنوبية الغربية.

ويوجد في شمال أذربيجان الطرف الشرقي لسلسلة جبال القوقاز، والتي يزيد ارتفاعها على ٤٢٧٦ متر عند قمة بازار ديوزي التي تنحدر بشدة

إلى الجنوب الشرقي في بحر الخزر لتكون هضبة أبشيرون. أما الطرف الجنوبي لجبال القوقاز فيشرف على ثاني المناطق الرئيسة في أذربيجان التي تُعدّ الطرف الشرقي لمنخفض تنصب مياهه بصفة مستمرة إلى أذربيجان؛ إذ يحملها إليه نهر كورا وروافده. وتتسع الأراضي المنخفضة تجاه الجنوب الشرقي حتى تكاد تصبح مستوية وتنتهي في بحر الخزر (قزوين) في دلتا نهر كورا. وتوجد سلسلة الجبال الثالثة في الطرف الجنوبي الشرقي من أذربيجان، وتنتهي عندها الأراضي الوطيئة لنهر كورا.

وتوجد الحيوانات البرية بكثرة في سلسلة جبال القوقاز، بما في ذلك المناطق المتجمدة منها، حيث يوجد الغزال القوقازي والخنزير البري والذئاب والدببة والثعالب والقطط البرية، وفي الأراضي المنخفضة توجد الوعول والضباع والنمور.

فتح المسلمون أذربيجان أثناء خلافة عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - في حملة بقيادة بكير بن عبد اللّه الذي صالح أهلها على الجزية. وكان لأذربيجان أهمية خاصة إبّان الفتوح الإسلامية في المشرق على يد الخلفاء العباسيين.

وقد قامت بأذربيجان دولة أسسها الأمير إيلدكز عام ٥٣٦هـ/ ١١٤١م عُرِفَتْ بأتابكية أذربيجان، ومن أمرائها محمد البهلوان، وقزيل أرسلان ومظفر الدين أزبك، وانتهت هذه الدولة على أيدي شاهات خوارزم.

وقد خضعت أذربيجان لاحتلال روسيا القيصرية وعانت تحت الحكم

الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ما عانته منه الجمهوريات الإسلامية، وكافح أهلها من أجل الحفاظ على هويتهم الإسلامية حتى كتب لهم الخلاص أخيراً مع انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١م.

وأذربيجان تُعدّ من أهم مناطق إنتاج النفط، وتنتج الغاز الطبيعي الذي تطور إنتّاجه بشكل مذهل في الستينات والسبعينات من هذا القرن، فضلاً عن توليد الطاقة الكهربية، ولذلك قامت بها الصناعات الهندسية والكيماوية وصناعة تكرير النفط وتكرير الغاز في باكو عاصمة الجمهورية. وبأذربيجان مصانع تنتج الصلب والألومنيوم والمطاط الصناعي والأسمدة والمخصبات كما تصنع الصناعات الدقيقة مثل الثلاجات وأجهزة التلفاز وصناعة مواد البناء إلى جانب صناعة المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية، ولمصايد الأسماك من بحر الخزر أهمية كبيرة.

أشهر مدن أذربيجان تبريز وأردبيل والعاصمة باكو.

أوزبكستان:

يبلغ عدد سكانها طبقاً لإحصاء ١٩٨٩م نحو ١٩,٩٠٠,٠٠٠ نسمة، أما مساحتها فهي ٤٤٩,٥٠٠ كم^{٢}. وهي من جمهوريات آسيا الوسطى، تحدها أفغانستان من الجنوب، وتركمانستان من الجنوب الغربي، وجمهورية كازاخستان من الغرب والشمال. وبحر آرال من الشمال، وجمهوريتا قرغيزيا وطاجيكستان من الشرق. عاصمتها طشقند. ويليها

مدينة سمرقند في الأهمية. ومعظم أراضي المناطق الغربية والشمالية الغربية صحارى توجد بها العديد من الواحات الكبيرة، والتي تُعدّ مركزاً للتجمعات السكانية. وتمتد جبال تيان شان وهضبة البامير في الجهة الشرقية والجنوب الشرقي.

وتعتمد الزراعة على الري، ويصل طول شبكة قنوات الري إلى ما يزيد على ١٥٠,٠٠٠ كم. وتنتج أوزبكستان نحو ٦٥٪ من مجموع إنتاج القطن في الاتحاد السوفيتي السابق، ونحو ٥٠٪ من جملة ناتج الأرز فيه. ولتربية الماشية أهمية كبيرة كذلك.

ومن أهم المنتجات المعدنية النفط والغاز الطبيعي والفحم.

وتوجد مصانع كبيرة لإنتاج الآلات الزراعية والأسمدة والمنسوجات، إلى جانب عدد من الصناعات الكيميائية.

ومعظم سكان أوزبكستان من الأوزبك، وهم مسلمون سنيون يتحدثون اللغة التركية، وتوجد مجموعات عرقية أخرى من الروس والتتار.

كانت أوزبكستان فيما مضى إقليماً من أقاليم بلاد فارس، وقد حكم الإسكندر الأكبر أوزبكستان كما حكمها العرب والأتراك السلاجقة وجنكيز خان وتيمور لنك وتيموجين، والأوزبك، وهم من بقايا إمبراطورية القطيع الذهبي خلال القرون الرابع إلى التاسع عشر الميلادي.

ودخلت أوزبكستان تحت حكم الروس عام ١٨٧٣م، وأصبحت جزءاً من الاتحاد السوفيتي في عام ١٩١٨م، ثم أصبحت جمهورية اتحادية في عام ١٩٢٥م، لكنها أعلنت استقلالها كباقي جمهوريات آسيا الوسطى في عام ١٩٩١م.

تركمانستان:

يبلغ عدد سكان تركمانستان وفقاً لإحصاء ١٩٨٩م، ٣,٥٠٠,٠٠٠ نسمة، ومساحتها ٤٨٨,١٠٠ كم[٢]. وهي من جمهوريات آسيا الوسطى، يحدها من الجنوب أفغانستان وإيران، ويحدها من الشرق والشمال الشرقي جمهورية أوزبكستان، ويحدها من الغرب بحر الخزر (بحر قزوين). عاصمتها أشكا باد، وتشغل صحراء قره قورم ٩٠٪ من مساحة تركمانستان. وتزود قناة قره قورم ـ تمتد من الشرق إلى الغرب عبر جنوب تركمانستان ـ الأراضي بالمياه؛ للري ولتوليد الطاقة الكهربية.

وتُعدّ الزراعة من أهم الأنشطة الاقتصادية للسكان، كما أن القطن هو أهم المحاصيل الزراعية للأراضي التي تروى بالمياه. وينتج الحرير وفراء أستراكان الشهير. وتشتهر المنطقة بتربية أغنام كراكول التي يستغل صوفها في صناعة السجاجيد. والأراضي غنية بثروتها المعدنية مثل النفط والفحم والكبريت والملح. وتنتج تركمانستان ١/٦ ما كان يحتاج إليه الاتحاد السوفيتي السابق من الغاز الطبيعي على وجه التقريب. ومن الصناعات التي تشتهر بها تركمانستان الصناعات الكيماوية وصناعة النسيج وصناعة الملبوسات وحفظ الأغذية.

والتركمانيون من المسلمين السنيين الذين يتحدثون اللغة التركية تصل نسبتهم إلى ٦٨٪ من السكان. ومن المجموعات العرقية الأخرى يوجد الروس والأوزبكيون.

كانت تركمانستان جزءاً من إمبراطورية فارس القديمة، وقد حكمها خلال القرون الثاني إلى الثالث عشر الهجري/ الثامن إلى التاسع عشر الميلادي العربُ والأتراك من الدولة الخوارزمية، والمغول (جنكيز خان، تيمور لنك) والأوزبك. ودخلت أوزبكستان تحت حكم الروس من عام ١٨٨١م، وأصبحت جزءاً من الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٠م، ثم جمهورية اتحادية من عام ١٩٢٥م إلى عام ١٩٩١م، حين أعلنت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي السابق.

طاجيكستان:

واحدة من الجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي الذي انهار عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م، تقع في جنوب جمهورية الروسيا، يحدها جنوباً أفغانستان، ويحدها من الشرق جمهورية الصين الشعبية. مساحتها ٥٥,٢٥١ ميل مربع/ ١٤٣,١٠٠ كم^2.

عاصمتها دوشانبي التي كانت تسمى ستالين أباد خلال الفترة من ١/ ١٢/ ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م، إلى ١١/ ١١/ ١٣٨٣هـ - ١٩٦١م.

وأراضي طاجيكستان جبلية بصفة عامة، ويغطي القسم الشرقي منها وديان بامير ذات الأراضي المرتفعة، ويخترقها العديد من السلاسل الجبلية التي تمتد من الشرق إلى الغرب، ويصل ارتفاع أعلى قممها إلى ٧٤٩٥ متر، وتوجد قمم جبلية أخرى يصل ارتفاعها إلى ٦١٠٠ متر.

وإلى الجنوب توجد أطول الجبال الثلجية، حيث يصل طول الجبل الثلجي هناك إلى ٤٤ ميلاً (جبل كوميوينزم)، وباستثناء المنطقة التي يخترقها نهر سيرداريا (سيحون) في وادي فرغانة الذي يفضي إلى صحراء أوزبكستان بالقرب من بخارى، وكذلك باستثناء نهر ماركنسو الذي يصب في إقليم سنكيانج الصيني فإن جميع الأنهار التي تنبع من الجبل الثلجي تُعدّ روافد لنهر جيحون تزوده بالمياه من ضفته اليمنى.

ويُعدّ نهر جيحون (آماداريا) الذي ينبع من مرتفعات هندوكوش بأفغانستان وروافده الخمسة هو الحد الفاصل بين أفغانستان وطاجيكستان، ويوجد كثير من البحيرات في جبال البامير ناشئة عن الزلازل التي أحدثت ما يشبه السدود على مجاري الأنهار القائمة، وأكبر هذه البحيرات بحيرة قره قول، ومساحتها ٣٨١كم^{٢}، وعمقها ٢٣٨م.

ومناخ طاجيكستان حار جاف مع كمية من المطر السنوي بمعدل ١٠ بوصات، ودرجات حرارة بين ٣ درجات في يناير و٣١° في يوليو، وذلك في المناطق المنخفضة، أما على التلال فيكثر المطر ويكون الجوُّ أميل للبرودة.

وفي الجبال التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من ١٠,٠٠٠ قدم فإن معدل درجة الحرارة يكون تحت درجة التجمد. ولا يسقط المطر في بامير الشرقية بأكثر من ٣ بوصات سنويا.

ويتنوع الغطاء النباتي من الغابات إلى الأعشاب إلى الحشائش القصيرة التي تسود أغلب المناطق، أمّا الغابات فتغطي ما يعادل ٤٪ من المساحة الكلية لطاجيكستان.

وتتنوع حياة الحيوان، ففي الأراضي الوطيئة في الجنوب توجد الغزلان والنمور وكثير من الطيور المائية، أمّا في الهضاب المرتفعة فيوجد الوعل كما توجد السحالي الضخمة التي يصل طولها إلى متر ونصف المتر، كما توجد الذئاب في هضبة البامير.

ينتمي الطاجيون إلى الشعوب التي تتحدث اللغة الفارسية، وكانوا ضمن إمبراطوريات فارس وإمبراطوريات الإسكندر المقدوني. ولقد عبر المسلمون نهر جيحون (أموداريا) ودخلوا سوجديانا التي كان يسكنها الطاجيون، وأطلقوا عليها اسم (ما وراء النهر)، وبعد ذلك بقرنين جاء الأتراك من الشمال الشرقي واستولوا على بلاد ما وراء النهر، وهكذا خضع السكان لعملية (تتريك) من خلال اشتراك الأتراك والسكان في التدين بالإسلام الذي وحدّ العواطف بينهم. وكان الطاجيون حتى منتصف القرن الثامن عشر جزءاً من إمارة بخارى، لكن الأفغان غزوا الأراضي التي تقع جنوب وجنوب غرب نهر جيحون بما فيها من سكان طاجيين، وبما في ذلك مدينة بلخ التي تعد من المراكز الطاجية القديمة.

وجاءت الغزوات السوفيتية لآسيا الوسطى في الستينات والسبعينات

من القرن التاسع عشر فأصبح الطاجيون تحت الحكم الروسي، أمّا إمارة بخارى فقد أعلنت محمية روسية في عام ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م.

وبعد الثورة الروسية في عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م دخل كثير من الطاجيين في جمهورية التركستان السوفيتية الاشتراكية التي أنشئت عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وفي ٢٣من أغسطس ١٩٢٣م/ ١٣٤٢هـ، امتدت الثورة إلى خانة (بخارى) التي كانت تحتضن معظم الأراضي التي تشغلها طاجيكستان الحالية، وأعلنت جمهورية بخارى السوفيتية الاشتراكية في أوائل عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وفي الوقت نفسه احتل الجيش السوفيتي دوشانبي وكولياب، وقامت في الفترة من ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م إلى صيف ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م ثورة بقيادة إبراهيم بك ظلت مشتعلة حتى عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وتكونت طاجيكستان أخيراً من بخارى الشرقية ومقاطعة سمرقند ومن خمس مقاطعات عام ١٣٤٨هـ في خوشند وست مقاطعات في هضبة البامير، وأعلنت جمهورية سوفيتية في ٥من ديسمبر ١٩٢٩م، وظلت كذلك حتى أصبحت جمهورية إسلامية مستقلة مع نهاية عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م.

عدد سكان طاجيكستان ٥,١٠٠,٠٠٠ نسمة طبقاً لإحصاء ١٩٨٩م، ويقطن ١/٣ السكان المدنَ، ورغم أنهم يكتبون بحروف روسية فإن لغتهم مشابهة للفارسية والأفغانية في نحتها وتراكيبها. ويرجع أصل السكان في ٢٧٪ من الحالات إلى الأصل التركي، ومعظمهم من الأوزبك. وينتشر التعليم بين السكان، حيث يوجد سبع

مؤسسات للتعليم العالي، وهناك جامعة تأسست عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، وهناك أكاديمية للعلوم في مدينة دوشانبي انفصلت عن أكاديمية العلوم السوفيتية منذ عام ١٩٥١م.

وتدور معظم الأنشطة الاقتصادية في طاجيكستان حول زراعة القطن وغزله ونسجه، وتلي ذلك الصناعات الثقيلة التي تتطور بشكل ملحوظ. وتزرع الفواكه والحبوب والمحاصيل المغذية للصناعة كما يهتم السكان بتربية الحيوان.

قرغيزيا:

إحدى الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م، يحدُّها من الشمال الغربي وشمالاً طاجيكستان، ومن الجنوب الشرقي جمهورية الصين الشعبية. وتصل مساحة أراضي قرغيزيا إلى ٧٦,٦٤١ ميلاً مربعاً، أي ١٩٨٤٨٩كم^{٢}.

وقرغيزيا بلاد جبلية ترتفع معظم أراضيها فوق سطح البحر بما يعادل ١٥٢٤ متر، وتدخل ضمن أراضيها الأجزاءُ الغربية من جبال يتان شان، وبها قمة يوبيدا الجبلية التي تُعدّ ثانية أعلى القمم في الاتحاد السوفيتي (سابقاً)؛ إذ يصل ارتفاعها إلى ٧٤٣٩ متر فوق سطح البحر، كما يوجد بها قمة تنجري الجبلية التي يصل ارتفاعها إلى ٦٩٩٥متر فوق سطح البحر، وهما على الحدود التي تفصل قرغيزيا عن الصين. وتوجد بقرغيزيا أكثر البحيرات عمقاً في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وهي قمة إيسيك. وغرب

قرغيزيا أكثر انخفاضاً عن شرقها ويأخذ شكل حرف (U) الإفرنجي، وينفتح إلى الغرب ليحيط بوادي فرغانة من الشمال والجنوب والجزء الأكبر من الوادي يُعدّ جزءاً من جمهورية أوزبكستان، وينتمي قسمه الشرقي إلى طاجيكستان، وترتفع جبال سيحون (سيرادريا) في الجنوب الغربي من قرغيزيا.

ويتنوع مناخ قرغيزيا تبعاً لارتفاع المكان وموقعه على خطوط العرض؛ فالمنحدرات الغربية والمناطق الشمالية تهب عليها رياح رطبة كما أنها أقل تعرضاً للشمس، ولذلك فهي أصلح للزراعة، ويتزايد المطر مع خطوط العرض، وتتحول المياه إلى جليد في المناطق التي يصل ارتفاعها إلى ١٠,٠٠٠ قدم حتّى في فصل الصيف، وتهب العواصف الثلجية أثناء الليل.

ويصل معدل المطر في العاصمة فرونزي التي تقع على ارتفاع ٧٧٢متر إلى ١٤,٣ بوصة. وتتوقف الزراعة على كمية المطر وعلى الارتفاع، والسائد هنا هو الزراعة الألبية، وتنتشر الأعشاب في المناطق التي تلي المناطق الألبية. والغابات نادرة إلا في قاع الوديان وعلى المنحدرات الشمالية.

يرجع أصل سكان قرغيزيا-وعددهم ٤,٣٠٠,٠٠٠ نسمة (وفقا لإحصاء ١٩٨٩م) إلى الجنس التركي، وكان معظم السكان حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر يشتغلون بالرعي، ويغلب عليهم طابع البداوة وحب الاستقلال، وقد خضعوا بعض الوقت لحكم (الخانات). واستولى الروس على قرغيزيا في النصف الثاني من القرن التاسع

عشر الميلادي، وخصصت الأراضي الصالحة للزراعة للسكان الروس، وحُرِمَها القرغيزيون، مما كان سبباً في حدوث ثورة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، والتي عانى خلالها السكان الأصليون معاناة كبيرة. وكان يطلق على سكان قرغيزيا فيها قبل ثورة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م في الروسيا (القره غيز) للتمييز بينهم وبين (الكازاخ)، وظلت هذه التسمية سائدة حتى عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م. وكانت قرغيزيا لفترة من الوقت جزءاً من التركستان تتمتع بالحكم الذاتي، وأعلنت جمهوريةً مستقلةً ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي في ٥من ديسمبر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وأخيراً أصبحت جمهورية إسلامية مستقلة مع تفكك الاتحاد السوفيتي في عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م.

ولقد عانى القرغيز حرمانَهم من المشاركة في الشئون الدولية طوال الفترة التي خضعوا فيها لروسيا وللاتحاد السوفيتي سابقاً، بل لم يكن لهم دور محسوس في المشاركة في صياغة سياسة الاتحاد السوفيتي.

لقد حدث تطور كبير في اقتصاديات قرغيزيا وفي مستوى المعيشة وفي التعليم في السنوات الأخيرة، وقد وجدت بها دور الحضانة ومدارس للتعليم العام إلى جانب المعاهد العليا للزراعة والطب والتربية، فضلاً عن وجود جامعة حكومية تأسست عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، وأنشئت بها في عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م أكاديمية للعلوم. ومعظم سكان قرغيزيا من المسلمين.

تنتج قرغيزيا الفحم، وبها مناجم للرصاص، وتنتج الحبوب والألبان ومنتوجاتها، وبها صناعة السكر والأدوية والصناعات المعدنية غير الحديدية التي تقوم على الزئبق والأنتيمون. وتُنْتَجُ الأصواف وتربى الأغنام وتنتج اللحوم.

وتقوم صناعة المنسوجات القطنية في العاصمة فرونزي وفي أوشن، وتوجد مصانع تكرير السكر في (وادي شو)، ومنتجات اللحوم والألبان في مدن عديدة، وتوجد كذلك محطات لإنتاج الطاقة الكهربية.

ويعتمد النقل على الطرق البرية لصعوبة تسيير السكك الحديدية في المناطق الجبلية، إلى جانب توظيف النقل البحري من بحيرة إيسيك التي لا تتجمد مياهها شتاءً في نقل الأخشاب ومنتجات الفحم والقمح والزيت. وللعاصمة فرونزي قطار يصلها بمدن عديدة.

كازاخستان:

إحدى الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي المنهار، تقع في جنوب الجمهورية الروسية التي تحدها من الشمال ومن الغرب، وتحدها من الجنوب جمهورية تركمانستان وجمهورية أوزبكستان وجمهورية قرغيزيا، ومن الشرق جمهورية الصين الشعبية (إقليم سنكيانج). مساحتها ١,٠٤٨,٣٠٠ ميل مربع، أي ٢,٧١٥,٠٠٠ كم^{٢}. وكانت تُعَدّ ثاني أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي المنهار من حيث المساحة.

وكازاخستان إحدي مناطق الاستبس التي يتزايد فيها الجفاف وتنتشر فيها البحيرات المالحة، وبعض هذه البحيرات آخذ في الجفاف بشكل سريع. وتنقسم كازاخستان إلى المناطق التالية:

منطقة بحر الخزر الوطيئة وتضم أراضي توران المنخفضة جهة الغرب، وأما في الوسط فتوجد أراضٍ أكثر ارتفاعًا، ثم سلسلة جبلية تحوطها من الشرق والجنوب الشرقي.

ورغم أن مستوى بحر الخزر في العمق يقع على مسافة ٢٨ متراً تحت مستوى البحر الأسود فإنه يوجد في أقصى الطرف الجنوبي الغربي لكازاخستان منطقتان أكثر انخفاضاً، كما يشتمل هذا الجزء على النصف الغربي من هضبة أوستورت وهي صحراء جافة قاحلة.

ويَرْوِي غرب كازاخستان نهران يصبان في بحر الخزر، ومجموعة أخرى من الأنهار تصب في أراضي المستنقعات المالحة التي يفصلها عن بحر آرال صحراء قره قورم، وهي غير صحراء قره قورم التي تحمل الاسم نفسه في جمهورية تركمانستان.

ورغم أن الأنهار تتجمد مياهها في الفترة من نوفمبر إلى منتصف مارس فإنها تفيض بالمياه في فصل الربيع، والأنهار في مجموعها غير صالحة للملاحة باستثناء بحر آرال.

ويتكون وسط كازاخستان من هضبة عليها سلسلة من الجبال المتوسطة الارتفاع تتألف من تكوينات اردوازية وجرانيتية.

أما كازاخستان الشرقية فبها أربعة جبال أكثر ارتفاعاً من جبال وسط آسيا، تمتد إلى الغرب محيطة بوديان ثلاثة تقع بينها.

ومناخ كازاخستان قاريّ جاف، وتنخفض درجة الحرارة شتاء إلى ما تحت درجة التجمد ماعدا المناطق التي في أقصى الجنوب، كما تصل درجة حرارة المناطق الصحراوية أحياناً إلى ٧٠°م، والوديان الشرقية أكثر ملاءمة من ناحية المناخ، ومعدل درجة الحرارة في ألما آتا العاصمة يصل إلى ٨°م في شهر يناير شتاء، و٢٣°م في شهر يوليو صيفاً. وتختلف كمية المطر تبعاً لفصول السنة ولموقع المكان، حيث يصل معدل المطر السنوي إلى ١٢ بوصة في الشمال، ومن بوصتين إلى ٤ بوصات في منطقة آرال. أما في الجنوب فالمطر شحيح، وتوجد ثروة غابية في المناطق الجبلية.

بدأ الغزو الروسي لأراضي كازاخستان مع مطلع القرن الثامن عشر، وفي العشرينات من القرن التاسع عشر نجحت روسيا في إلغاء سلطة الخانات، مما أدّى إلى قيام العديد من حركات المقاومة خلال الفترة من ١٢٥٣-١٢٦٤هـ/ ١٨٣٧-١٨٤٧م، وهزم الخانات أخيراً عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م.

وكان يشار إلى الكازاخ بأنهم القرغيز؛ للتمييز بينهم وبين القوزاق،

بينما وصف القرغيزيون الأصليون بأنهم القره قرغيز. ومع نهاية القرن التاسع عشر كانت مستعمرات الفلاحين الروس تنتشر في شمال كازاخستان، ولم تكن حكومات القياصرة الروس تفكر حتى في منح حق تقرير المصير للكازاخ. ومع بداية القرن العشرين كانت هناك حركات وطنية للمقاومة أدّت إلى منح ممثلي الشعب الكازاخي حق حضور اجتماعات البرلمان، وظهرت أول صحيفة كازاخية واسمها إيكان عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، وتلتها صحيفة كازا عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، وعندما قررت الحكومة تجنيد الذكور من الكازاخ عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، والذين تبلغ أعمارهم ما بين ١٩-٤٣ سنة للقيام بالخدمات المعاونة في الجيش قامت ثورة الكازاخ بقيادة عبد الغفار، وأمان جلدي، لكن الثورة أحبطت مع خسارة كبيرة في أرواح الشعب الكازاخي.

وفي نوفمبر ١٣٣٩هـ/ ١٩١٧م طالب الوطنيون الكازاخ بقيادة علي خان بوكي بالحكم الذاتي لكازاخستان، وتكونت حكومة وطنية لكازاخستان في العام نفسه، لكن الجيش الأحمر احتل كازاخستان في ١٣٣٨هـ-١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م - ١٩٢٠م، وفي ٢٦ من أغسطس ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م أعلن قيام أول حكومة قرغيزية (كازاخية)، وكانت عاصمتها أورينرج، وتعدل اسم الجمهورية إلى كازاخستان. وفي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م أصبحت العاصمة آلما آتا.

وابتداء من عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م انتهجت الحكومة السوفيتية سياسة

حازمة لتوطين السكان، واستعمر الروس والأوكرانيون كازاخستان، وقاوم الكازاخيون مما أدّى إلى إعدام كولومتوف عضو البرلمان الكازاخي مع ١٨ آخرين بتهمة البرجوازية. ثم أصبحت كازاخستان جمهورية سوفيتية اشتراكية في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. وأخيراً أعلن وفاة الاتحاد السوفيتي في آلما آتا وقامت الجمهوريات المستقلة مكانه فقامت معها جمهورية كازاخستان.

يبلغ تعداد سكان كازاخستان طبقاً لإحصاء عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ١٦,٥٠٠,٠٠٠ نسمة.

وينتشر التعليم في كازاخستان، وتوجد جامعة أنشئت عام ١٩٣٤ في آلما آتا كما توجد معاهد عالية للزراعة والطب والتربية والتعدين والبيطرة، وتوجد أكاديمية للعلوم تأسست عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، وتوجد آلاف من المكتبات العامة (٧١٠٠ مكتبة عام ١٩٧٠م)، و ٢٦ متحفاً و٢٣ مسرحاً.

وتمثل تربية الماشية أهم مجالات الثروة، وحلت محلها زراعة المحاصيل الغذائية والصناعات الخفيفة والثقيلة التي تطورت خلال السنوات الأخيرة بدرجة كبيرة، وأصبح لها الصدارة في اقتصاديات كازاخستان.

وكازاخستان غنية بثرواتها المعدنية من الرصاص والزنك والنحاس والفحم والنفط، ويستخرج الحديد ويتم استخراج النحاس والرصاص والزنك والفوسفات والكروميت والنيكل والبوكسيت، وتولد الطاقة الكهربية من مجاري الأنهار على نطاق كبير. وتوجد مصانع للجرارات،

ولآلات الطباعة الأوتوماتيكية.

ويوجد بكازاخستان أكثر من ١٣١٩٧ كم من السكك الحديدية ٩٠٤ ١٠٨ كم من الطرق المعبدة مع تطور كبير في الطيران المدني.

* انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا

اتحاد ماليزيا:

يضم اتحاد ماليزيا جزءاً يقع في شبه جزيرة الملايو في جنوب شرقي آسيا، وهذا الجزء يضم تسع ولايات يسكنها نحو ١٤ مليون نسمة، ويفصلها عن جزيرة سومطرة بإندونيسيا مضيق ملقا. ويقع القسم الآخر من اتحاد ماليزيا في الجزء الشمالي من جزيرة كليمنتان الإندونيسية، ويتألف من ولايتين يسكنهما نحو ٠٠٠,٦٠٠,١ نسمة.

والولايتان هما سابا وسراواك.

وعاصمة ماليزيا هي كوالالامبور، ويسكنها نحو نصف مليون نسمة.

ويتألف سكان ماليزيا من ثلاثة عناصر هي:

العنصر الملاوي، والعنصر الصيني، والعنصر الهندي.

واللغة الرسمية في ماليزيا هي اللغة الملاوية، ويشيع استخدام الإنجليزية في محيط الأعمال. ودين الدولة الرسمي في ماليزيا هو الإسلام، وهو دين جميع الملاويين.

وكانت سنغافورة عند قيام الاتحاد جزءاً منه، لكنها انفصلت عنه عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

وكانت ماليزيا وإندونيسيا تكونان دولة واحدة أو أجزاء من دولة كبرى في معظم العصور التاريخية، ولذلك فإن الممالك الإسلامية التي قامت في إندونيسيا والملايو هي الممالك التي تحدثنا عنها عند الحديث عن إندونيسيا.

(انظر أندونيسيا)

بل إن الطرق التي سلكها الإسلام في انتشاره في إندونيسيا هي الطرق نفسها التي اتبعها انتشاره في ماليزيا؛ فقد دخل الإسلام الملايو وإندونيسيا مع الرحالة والتجار منذ عهد مبكر، وكان للعرب والفرس والهنود جهد ملحوظ في ذلك، كما كان لانتشار الإسلام في الهند على يد محمود الغزنوي وللهجرات التي أعقبت الغزو المغولي التأثير نفسه في نشر الإسلام بماليزيا.

وقد دامت مملكة ملقا من عام ١٤٠٠ إلى عام ١٥١١م. ومن أشهر ملوكها إسكندر شاه، وجاء بعده ثمانية ملوك. وكانت ملقا رأس حربة لتقدُّم الإسلام وراءها، وحمل ملوك ملقا لقب سلطان بدلاً من لقب راجا.

ونشرت ملقا الإسلام في جزر آسيا الجنوبية الشرقية، بل كان لمملكة ملقا دور في القضاء على إمبراطورية ماجابيت الهندوكية.

وبعد سقوط ملقا على يد البرتغاليين قامت ممالك إسلامية كثيرة في الملايو أسهمت إسهاماً واضحاً في نشر الإسلام.

وعانت الملايو من الاستعمار البرتغالي، ثم الاستعمار الهولندي والاستعمار البريطاني، وخضعت للاحتلال الياباني في الحرب العالمية الثانية.

وَهَبّتْ بالملايو ثورات قوية ضد جميع أشكال ذلك الاستعمار، وعادت بريطانيا إلى الملايو بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م.

وفي ٣١/ ٨/ ١٩٥٨م / ١٣٧٨هـ أعلن استقلال البلاد عن بريطانيا، وتسلم تنكو عبد الرحمن زعيم الحزب الوطني الملاوي - الذي فاز في انتخابات المجلس التشريعي عام ١٩٥٥م - تسلم السلطة من عمٍّ ملكة إنجلترا، وأذّنَ المؤذن:

«اللّه أكبر.. اللّه أكبر..»، وأصبح ذلك اليوم يوم استقلال ماليزيا.

إندونيسيا:

تقع إندونيسيا بين المحيط الهادي من الشرق والمحيط الهندي من الغرب، وتتألف إندونيسيا من عدَّة آلاف من الجزر يفصلها بعضها عن البعض بحار كثيرة، مثل بحر الصين الجنوبي وبحر جاوه وبحر نبدا وبحر سيلبس. والجزر الإندونيسية متسعة الأرجاء مترامية الأطراف، يبلغ امتدادها من الغرب إلى الشرق نحو ٣٠٠٠ ميل، وهي تقع في المنطقة الاستوائية، ومع ذلك فإن تأثير البحر وتأثير المرتفعات من

الداخل يخفف كثيراً من شدة الحرارة .

وأهم الجزر الإندونيسية سومطرة ، وبها ٢٢ مليون نسمة من السكان ، وتقع بها منطقة آتشة التي كانت مقرّاً لأول دولة إسلامية في إندونيسيا .

وتُعدّ جزيرة جاوة امتداداً لسومطرة ، وبها العاصمة الإندونيسية جاكارتا ، وبها كذلك باندونج المدينة التي عقد بها الاجتماع الأول لدول عدم الانحياز .

وجاوة من أغنى جزر إندونيسيا وأكثرها سكاناً (٨٠ مليون نسمة) .

أما جزيرة بورنيو أكبر الجزر الإندونيسية مساحة فتأتي في الترتيب الثالث بالنسبة للجزر الكبرى في العالم بعد جرين لاند ونويجيني .

ويبلغ سكان إندونيسيا أكثر من ١٦٥ مليون نسمة (إحصاء ١٩٨٦م) . واللغة الإندونيسية التي ترجع جذورها إلى اللغة الملاوية هي اللغة الرسمية لإندونيسيا منذ العقد الثالث من القرن العشرين .

جاء الإسلام إلى إندونيسيا بواسطة التجار من العرب والفرس والهنود الذين عرفوا تلك البلاد منذ أزمنة بعيدة ، وكان قدوم الإسلام إلى إندونيسيا مع مطلع فجره في الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري السابع الميلادي . وكان التعريف بالإسلام وتقديمه إلى السكان الأصليين عملاً تابعاً للتجارة . وكان انتشاره يتم بواسطة الدُّعاة الذين كان التجار يستقدمونهم معهم . وكانت أول منطقة دخلها الإسلام هي سواحل سومطرة الشمالية ،

حيث كان للتجار الإندونيسيين أنفسهم دور في نقل الإسلام إلى بلادهم؛ فقد زار عدد من التجار الإندونيسيين بغداد في عهد الرشيد، ورأوا هناك الحضارة الإسلامية في أزهى مظاهرها، فجذبتهم إلى الإسلام. وعندما عادوا إلى إندونيسيا كانوا شديدي الحماس لنشر هذا الدين الجديد وتقوية أصوله في بلادهم. وكان لانتشار الإسلام في الهند على يد السلطان محمود الغزنوي (محطم الأوثان) ٣٨٩-٤٢١هـ/ ٩٩٨-١٠٣٠م، الأثر الكبير في انتقال الإسلام إلى الجزر الإندونيسية على يد التجار الهنود المسلمين وانتشاره بها، كما كان للمهاجرين الذين فرّوا أمام الزحف المغولي على أرض الإسلام أثر في نشر الإسلام في الأراضي التي نزلوا بها في جزر الملايو وإندونيسيا.

ومع سقوط إمبراطورية ماجابيت الهندوكية ٦٩٢-٨٢٤هـ/ ١٢٩٣-١٤٧٨م التي كانت تحكم جزر جاوه وسيلبس وجزائر الملوك وبورنيو وشبه جزيرة الملايو وسنغافورة والفلبين وغيرها ـ كان الإسلام قد انتشر في كثير من ربوع إندونيسيا، وقد ثار المسلمون على تلك الإمبراطورية ليقيموا المملكة الإسلامية الثالثة على أرض إندونيسيا.

وكان الإندونيسيون والملاويون قد نجحوا قبل ذلك في إقامة مملكة ملقا (٨٠٢-٩١٨هـ/ ١٤٠٠- ١٥١١م) ومملكة آتشة (٩٢١ - ١٣١٨هـ/ ١٥١٤- ١٩٠٤م)، وفي هذه المناسبة قام زعيم إندونيسي مسلم اسمه بانيه يونس بالقضاء على إمبراطورية ماجابيت الهندوكية، ونقل شعارها إلى

عاصمة المملكة الإسلامية الثالثة التي أقيمت بجزيرة جاوه بمدينة دماك، واستمرت هذه المملكة خلال الفترة من ٩١٩-٩٥٩هـ/ ١٥١٢-١٥٥٢م.. وكان هناك ممالك إسلامية أخرى بإندونيسيا، منها مملكة بنتان ٩٥٩- ١٠٩٤ هـ/ ١٥٥٢- ١٦٨٤م، ومملكة جووا ١٧٠٨هـ/ ١٦٦٧م، هذا عدا ممالك شبه جزيرة الملايو عقب سقوط ملقا.

ونظراً لطبيعة التدافع الحضاري فقد صادفت تلك الممالك الإسلامية في مطلع حياتها دخول الزحف الأوربي الذي جاء ليدمر كل شيء، فقامت بإندونيسيا والملايو حروب يمكن عَدها جزءاً من الحروب الصليبية التي عرفها الشرق.

فقد اتخذت البرتغال الصراع التجاري بين السفن الغربية والسفن الشرقية ذريعة للدخول عام ٩٦٣هـ/ ١٥٠٩م في معركة تغلبت فيها البرتغال، ودارت معارك انتهت بسقوط الدولة المسلمة في ملقا، وسيطرة البرتغال عليها في أغسطس ٩٦٥هـ/ ١٥١١م، وصدرت الأوامر بهدم المساجد ونبش قبور السلاطين لِتُبنى بدلاً منها الكنائس والقلاع وأكرِه الناسُ على اعتناق النصرانية.

وآلت السيادة الأوربية في إندونيسيا إلى هولندا التي بدأت نشاطها التجاري في أواخر القرن السادس عشر الميلادي ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٥م، ثم أنشأت شركة الهند الشرقية والهولندية ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م، التي احتكرت

التجارة وفرضت على السكان أن يزرعوا أنواعاً معينة من المنتوجات الزراعية، واحتكرت التصدير وفرضت ضرائب معينة، فبدأ الصراع العسكري بين هولندا وبين الإندونيسيين منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي، وكانت حركات عسكرية هائلة ضد هولندا، قادها السلطان حسن في جووا، والأمير ترونوجويو وسلاطين جزر الملوك، لكن هولندا بسبب ما لديها من معدات حربية حديثة انتصرت في تلك المعارك.

وفي القرن العشرين قامت في إندونيسيا حركات صاخبة مدوية ضد الاستعمار كان للجماعات الإندونيسية الثقافية والاجتماعية والسياسية أثر بارز في دعمها ومساندتها.

وعندما حلت اليابان محلّ هولندا في إندونيسيا عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٢م كانت اليابان عنيفة في مواجهتها للثورات التي قامت تطالب بالاستقلال، فقتلت آلاف الإندونيسيين، واضْطرتْ اليابانُ تحت الإصرار على الاستقلال إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا في ١٧ من أغسطس ١٩٤٥م/ ١٣٦٣هـ.

ورغم أن الغرب لم يعترف بالخطوة التي اتخذتها اليابان وأن جيوش الحلفاء نزلت إلى جزيرة سيلبس وغيرها من المناطق ١٣٦٣هـ/ نوفمبر ١٩٤٥م، وألقى الهولنديون القنابل على العاصمة الجديدة جوكجا دون سابق إنذار فقد استبسل آلاف الإندونيسيين في الدفاع عن استقلالهم،

وراح منهم أربعون ألف شهيد، واضطر الحلفاء إلى وقف الهجمات على إندونيسيا، واعترفت هولندا باستقلالها في ٢٩ / ١٠ / ١٩٤٩م/ ١٣٦٧هـ.

الفلبين :

الفلبين إحدى دول جنوب شرقي آسيا، وتتكون من عدة آلاف من الجزر (نحو ٧٠٠٠ جزيرة)، أهمها لوزون في الشمال، وبها مانيلا العاصمة وميندناو في الجنوب.

وجزر الفلبين تقع في المنطقة الاستوائية لكن مناخها قريب الشبه بمناخ إندونيسيا، وجوها معتدل لكثرة الأمطار ولوجود البحار المحيطة. وسكان الفلبين نحو ٥٦ مليون نسمة (إحصاء ١٩٨٧م) منهم عشرة ملايين مسلم تقريباً. وقد أطلق العرب على هذه الجزر في أول الأمر اسم عذراء ماليزيا. وعندما زحف عليها الإسبانُ سُمِّيَتْ (الفلبين) باسم الملك فيليب الإسباني الذي دفع إليها الجيوش لاحتلالها.

انتشر الإسلام بالفلبين سالكاً الطريق نفسه الذي انتشر به في الملايو وإندونيسيا. وكان من الممكن أن يعم الإسلام جزر الفلبين، لكن الاستعمار الإسباني داهم تلك الجزر ابتداء من عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢١، واستولى عليها جزيرة إثر أخرى. وقد حمل الإسبانُ الناس على اعتناق النصرانية بالحديد والنار، وحاولوا القضاء على سائر المؤسسات

الإسلامية. وظلّ الاستعمار الإسباني بالفلبين فترة قاربت أربعة قرون من عام ٩٢٨هـ - ١٣١٣هـ/ ١٥٢١ - ١٨٩٨م، قضى فيها الاستعمار على أجيال متعاقبة من المسلمين بحروب شرسة متتالية.

وانتقلت السيادة على الفلبين من أسبانيا للولايات المتحدة ١٣١٣هـ- ١٣١٤هـ/ ١٨٩٨ - ١٨٩٩م، وكانت هناك مع ذلك عدّة سلطنات وإمارات إسلامية في جنوب الفلبين استعصت على القوة الحربية الإسبانية، وخصوصا في جزيرة ميندناو ومجموعة جزر سولو.

وأتاح انتقال الفلبين إلى الولايات المتحدة الفرصة للمسلمين ليستردوا نفوذهم في كثير من المناطق، وانتعشت روح الاستقلال، فقام صراع بين الولايات المتحدة والمسلمين في الفلبين استمر نحو ثلاثين عاماً أبلى فيه مسلمو ميندناو ومسلمو سولو أعظم البلاء، مما اضطر أمريكا تحت ضغط قيام الحرب العالمية الثانية إلى عقد معاهدة ضمنت بعض حقوق المسلمين.

وعندما زحفت الجيوش اليابانية على الفلبين عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م قاوم المسلمون في الفلبين الزحف الياباني بشجاعة نادرة.

وحصلت جزر الفلبين على استقلالها مع نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٦م.

* انتشار الإسلام في السند والهند

تقع شبه القارة الهندية في جنوبي قارة آسيا، ويطل على البحر العربي غرباً وعلى خليج البنغال شرقاً، وعلى المحيط الهادي جنوباً، وتحده من الشمال جبال الهملايا وهضبة كشمير.

وتبلغ مساحة القارّة الهندية ٠٧٢, ٢٢١, ١ ميلاً مربعاً بما يعادل مساحة أوربا عدا الروسيا والجمهوريات التي تحررت من الاتحاد السوفيتي.

وللهند موقع مهم على خريطة العالم، وهي شبه جزيرة على شكل مثلث منتظم الأضلاع قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل، وتحتل قاعدة هذا المثلث جبال الهملايا الشاهقة، أمّا رأسه فتنتهي عند كوماري.

ويحتضن الهندَ نهران عظيمان، أحدهما نهر (الإندوس) السند الذي ينبع من جبال الهملايا ويصب في خليج العرب بعد أن يتصل بأنهار سهل البنجاب، والنهر العظيم الثاني هو نهر كنكا أو نهر (الكنج)، وينبع مثل نهر السند من جبال الهملايا، ولكنه يصب في خليج البنغال بعد أن يتصل بنهر براهما بوترا.

وتشق الهند عند منتصفها تقريباً سلسلة من الجبال والأدغال، تبدأ من الغرب وتسير حتى قرب الساحل الشرقي، فتقسم الهند قسمين، ويختلف أحدهما عن الآخر في طبيعته وسكانه.

والهند مركز من مراكز الحضارة القديمة في العالم، وهي تضارع في حضارتها حضارة مصر والصين وآشور وبابل. وقد أظهرت الكشوف الحديثة مدى الرقي الذي عرفته الهند في الشئون المعمارية والزراعية والاجتماعية قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف عام، وقبل الغزو الآري لها بنحو ١٥٠٠ عام.

ونظراً للظروف الجغرافية للهند ولأن البحار أو الجبال تحيط بها من كل جانب فقد كان من الصعب على الغزاة الذين يطمعون فيها أن يقتحموها عن طريق البحر أو البر. . لكن هناك منفذين إلى الهند عن طريق ممرّين يوجدان في جبال الهملايا من الشمال- أحدهما يقع إلى الشرق من جبال الهملايا عند وادي نهر براهما بوترا، ويسمى الباب الشرقي للهند، ويقع الثاني غرب هذه الجبال ويسمي الباب الغربي للهند. ومن هذين البابين تم

غزو الهند عدّة مرات بأجناس مختلفة من البشر . . ولهذا فإن سكان الهند متباينون، فمنهم شعوب بيض البشرة مثل بياض الأوربيين، ومنهم من يشبه الزنوج السود. وبين هؤلاء وأولئك ألوان .

ويجاور الهند في الشمال الغربي حاليا دولتا باكستان وأفغانستان، ويجاورهما في الشمال التركستان، كما تجاورها الصين وبنجلاديش وبورما في الشمال الشرقي .

وقد بدأ اهتمام المسلمين الأوائل بنشر الإسلام في السند والهند في وقت مبكر منذ أيام الخليفة الراشد الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، وكانت هناك بعوث استكشافية لأحوال السند والهند في عهد خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، كما واصل الخليفة علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - المهمة نفسها .

وفي عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - نجح المسلمون في استيطان جزء من غربي البنجاب، ودخل هذا الجزء في الإسلام، واستطاع محمد بن القاسم أن يرفع راية الإسلام عالية على جميع بلاد السند في العصر الأموي، ودخل معظم أهلها الإسلام .

واستطاع الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يعيد بلاد السند إلى التبعية الكاملة لدولة الإسلام، وكانت بعض الاضطرابات قد وقعت فيها في نهاية عصر الدولة الأموية، بل لقد كسب الإسلام في عهد المنصور

أفواجاً جديدة من شعوب الهند عندما دخل إقليم كشمير تحت راية الإسلام.

وخلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين استطاع الأمراء الغزنويون ـ وهم من أصل تركي ـ أن يقيموا دولة قوية بالهند أخذت اسمها من غزنة، الموطن الأصلي لهؤلاء الأمراء الأتراك وعاصمة ملكهم. وكانت غزنة تقع في هضبة إيران، جنوب غربي كابُل، في إقليم جبلي يشرف على سهل البنجاب.

وتعد الدولة الغزنوية من أكبر الدول في تاريخ الإسلام؛ لما قامت به من توسيع رقعة الإسلام في شمالي الهند وكشمير.

واستطاع الغوريون ٥٧٠- ٦٠٢هـ/ ١١٧٤- ١٢٠٦م- وهم خلفاء الغزنويين في الحكم أن يثبتوا أقدام الإسلام في السند والهند، وانتهت تلك المعارك بأن اتخذ الغوريون دهلي عاصمة إسلامية.

حَلَّ الخلجيون محل المماليك الغوريين في عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م. وكان الخلجيون ـ وهم من الأفغان ـ يحكمون إقليم البنغال أيام الغوريين.

وكان للخلجيين الفضلُ في ردِّ المغول الذين تكررت هجماتهم على الهند وفَضْل ردِّ خطرهم لأمد طويل. وقد استكمل الخلجيون فتح الهند من البنغال شرقاً إلى البنجاب غرباً، ومن جبال الهملايا شمالاً إلى تلال الوندهاي جنوباً، فضلاً عن أنهم عملوا على نشر الإسلام في هضبة

الدكن، وحققوا فيها انتصارات عظيمة، وأقرّوا السلام في الهند، وألزموا الناس بالشرع الإسلامي، وعنوا بالمساجد والعلماء، وشمل سلطانهم شبه الجزيرة الهندية كلها.

وتمكن آل تغلق الذين كانوا يحكمون إمارة دلهي من أن يعيدوا إلى الإسلام مكانته الرفيعة التي كانت قد اهتزت بعد مقتل آخر الأمراء الخلجيين على يد قائده الهندوكي عام ٧٢١هـ/ ١٣٢١م.

وقد تحدث ابن بطوطة عن أعمال آل تغلق الذين نجحوا في إعادة إخضاع الدكن وإخضاع البنغال شرقاً، وأنشأوا جيشاً قويا ونظموا الإدارة، وأنشأوا نظاماً للبريد، ونجحوا في ردِّ المغول عن الهند بعد أن عاثوا الفساد فيها، وخصوصا في إقليم السند.

وقد حمل ابن بطوطة مسؤولية القضاء لمدة ثماني سنوات إبّانَ حكم آل تغلق في دلهي.

وظلت المناطق الإسلامية في السند والهند حتى القرن العاشر الهجري تحت حكم أمراء يستقل كل منهم بإحدى المناطق. وكان نتيجة ذلك غزو تيمور لنك للهند عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م، وحضوره بنفسه، واستيلاؤه على أهم الحصون فيها، ثم استيلاؤه على دلهي في عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م، ونهبها، وأعمل التخريب فيها، وفشل آل تغلق في تحرير تلك المناطق، وأطلق على تلك الفترة عصر أمراء الطوائف.

واستطاع الإنجليز القضاء على كل أثر للمسلمين في الهند مستفيدين من تسامح سلاطين المسلمين في الهند معهم، ومن الامتيازات التي منحوها إياهم بإنشاء مراكز تجارية لهم عند بعض الموانئ الهندية، واستفادوا كذلك من الحروب الداخلية والثورات المستمرة ضد الحكومات الإسلامية، واستولى الإنجليز على دلهي عام ١٨٠٣م، وانتهى تاريخ الإسلام في الهند منذ ذلك التاريخ.

الإنجليز يقضون على الوجود الإسلامي في الهند:

جاء الإنجليز إلى الهند إثر حركة الزحف الاستعماري الأوربي التي بدأتها البرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي، عندما اكتشف فاسكو دي جاما طريق رأس الرجاء الصالح.

واستطاعت شركة الهند الشرقية ـ وهي شركة بريطانية ـ أن تباشر نشاطها التجاري في الهند عام ١٠٢٠هـ/ ١٦٠٠م، وأقيمت أولى المستعمرات البريطانية بالهند في سورات، وبومباي، ثم في مدراس وكلكتا. ولم يكن لدى الحكام المغول مانع من إعطاء أية تسهيلات للشركة؛ لأنهم لم يُقدِّروا الخطرَ الكامن وراء نشاطها، بيد أن الشركة استطاعت بمرور الزمن أن تدعم سلطتها بالحصول على أراضٍ تقيم عليها مراكزها التجارية وبعض المصانع الإنتاجية، وسرعان ما أصبحت تلك المناطق حصوناً وقلاعاً امتدت على شواطئ شبه القارة.

ومع الاضمحلال والتفكك الذي أصاب الإمبراطورية المغولية كانت

الشركة قد بدأت في تكوين فرق عسكرية بحجة حماية مصانعها ومتاجرها، بل صارت الشركة تتدخل في الشئون الداخلية للبلاد، وحصلت على إذن من الإمبراطور بإدارة بعض المناطق، وصارت تعزل المسلمين وتولي مكانهم الهندوس أو الإنجليز، وأرغمت آخر أمراء ميسور (بيتو صاحب) عام ١٧٢٩م على التنازل عن نصف أراضيه لإنجلترا. وبذلك أصبح الإنجليز قوة سياسية وعسكرية حقيقية في الهند، وامتدت أملاكهم حتى صارت أوسع من أملاك سلطان دلهي. واستطاع الإنجليز بالحرب أن يدخلو دلهي، واحتلوا أجرا، وعملوا على محو الطابع الإسلامي في دلهي ومن (اللّه أباد) ومن أجرا، وأصبحوا سادة الهند دون منازع، وشهروا العَدَاء ضد كل ما هو إسلامي في الهند، وحاولوا غزو أفغانستان بصفتها قلعة الإسلام الحصينة، لكنهم فشلوا. وتنازلت شركة الهند الشرقية عن أملاكها للحكومة البريطانية، وأصبحت أملاك إنجلترا في الهند من المستعمرات، وتنازل آخر سلاطين المغول من المسلمين بهادر شاه الثاني عن عرشه في عام ١٣٧٤هـ/ ١٨٥٨م، وبذلك انتهت سلطنة مغول الهند العظام.

وفي عام ١٩٤٧م وبعد جهاد مرير للهنود ضد الاستعمار البريطاني أُعْلِنَ مولد باكستان، دولة المسلمين في الهند في حوض السند وكشمير والبنغال، ثم قامت عام ١٩٧١م دولة بنجلاديش في البنغال، ولا زالت كشمير مشكلة معلقة، احتلتها الهند عُنْوَةً، وترفض إعادتها إلى باكستان.

* قادة الحملات الإسلامية الأولى إلى السند والهند

الحارث بن مُرة العبدي:

هو الحارث بن مرَّة العبدي. وجَّههُ الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ عام ٣٩ هـ على رأس حملة إلى بلاد السند، وكان الخليفة عثمان قد وجه إليها قبل ذلك حكيم بن جبلة لاستطلاع أخبارها.

ولم تكن حملة الحارث بنيّة الاستقرار، وإنما كانت للاستكشاف والردع والتهديد، وقد انتصرت الحملة وحققت أغراضها، ووصل الحارث بجيشه إلى ممر قيقان المعروف باسم ممر قلات في الوقت الحاضر.

ووقعت معركة بين أهالي قيقان والمسلمين، تمّ فيها النصر للمسلمين عام ٣٩هـ/ ٦٥٨م، وتُعد هذه الحملة من الحملات الأولى التي مهدت للفتوحات الإسلامية الكبيرة في السند والهند فيما بعد، ولنشر راية الإسلام فيها، وقد قتل الحارث في تلك الحرب عام ٤٢هـ/ ٦٦٢م.

عمر بن عبد العزيز الهباري:

هو عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار الأسدي القرشي.. أحدُ الأمراء المسلمين المستقلين بالهند، من أصل عربي حجازيٍّ، استولى على السلطة بفضل جاه الحجازين بالهند، وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي المتوكل على اللّه ٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٨٧٠م، وقد حصل على موافقة الخليفة والاعتراف به حاكماً على السِند، وأصبح

عمر يتمتع بسلطة واسعة في المناطق الهندية الإسلامية، ولا يرتبط بالخلافة العباسية إلا من الناحية الشكلية فقط شأن الولايات الإسلامية الأخرى التي استقلت عن الخلافة العباسية، وبدأ بعهده ـ عهد الإمارات المستقلة في الهند ـ والذي ظهر فيه توارث الحكم بين أبناء وأسر هؤلاء الأمراء.

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز الهباري عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م تولّى ابنه عبد اللّه زمام الأمور في الإمارة، ثم تولى موسى بن عمر زمام الأمور من بعده عام ٢٧١هـ/ ٨٨٥م.

وقد عاشت هذه الإمارة المستقلة حتى اقتحم السلطان محمود الغزنوي الهند، وضمها لسلطانه نحو عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٤م.

محمد بن القاسم الثقفي:

محمد بن القاسم بن محمد بن عبد الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فاتح السند وواليها، من كبار القادة، ومن رجال الدهر في العصر المرواني، كان أبوه والي البصرة للحجاج، وولّى الحجاج محمداً ثغرَ السند أيام الوليد بن عبد الملك. وكان ببلاد فارس على رأس جيش في طريقه إلى الريّ فأقام في شيراز، وأرسل إليه الحجاج ستة آلاف من جند الشام، فزحف إلى مكران وفتح قنزبور وارمائيل والديبل، واستسلم أهل البيرون، إلى أن بلغ مهران، فعبره، وقاتل داهر ملك السند، فقتل داهرا، وانبسطت يده في البلاد فتحاً وتنظيماً إلى أن كان في (الملتان)،

وجاءته الأنباء بوفاة الحجاج ثم الوليد بن عبد الملك وولاية سليمان بن عبد الملك، وكان سليمان شديد النقمة على الحجاج وعماله، فلما ولي بعد موت الحجاج عمد إلى أقربائه وكتابه وعماله فنكبهم. وعزل محمد ابن القاسم وأمر بحمله من السند مقيداً، فحمل إلى واسط، وعُذِّبَ بها، فقال شعراً يعاتب به بني مروان، فأمر سليمان بإطلاقه فأطلق، ثم قتله معاوية بن يزيد بن المهلب. وقيل: مات في العذاب.

* قادة الحملات الإسلامية من غير العرب

بابر ٨٨٨هـ - ٩٣٧/ ١٤٨٣ - ١٥٣٠م:

هو ظهير الدين محمد بن عمر شيخ ميرزا صاحب فرغانة، وحفيد تيمور لنك، وشهرته بابر. ولد بفرغانة عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، وتوفي أبوه وهو في الثانية عشرة من عمره. وبعد نزاعٍ مع أعمامه نجح في استرداد أملاك أبيه مع ضم سمرقند إليه، ولكنه لم يلبث أن فرّ هارباً من فرغانة عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م بعد أن وقعت سمرقند في يد خان الأوزبك، والتجأ إلى كابُل بأفغانستان، وتولى عليها، كما ضمّ إليه غزنة. وانتهز فرصة هزيمة الأوزبك على يد إسماعيل الصفوي، فقفل راجعاً إلى سمرقند واستولى

عليها عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، ولم يطُلْ مُقامُه بها فرجع إلى كابُل، وولّى وجهه شرقاً صَوْب الهند، وكانت تحت حكم اللوديين الأفغان الذين جعلوا من دهلي عاصمة لهم، وإن كان قد استقلّ عنهم عدد كبير من الأمراء المسلمين في البنغال والبنجاب والكجرات وغيرها.

وفي عام ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م خرج بابر من كابُل، واستولى على أملاك التيموريين بعد معركة بهيرة، ثم أعاد الكرّةَ عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، واستولى على لاهور وديبالور، ورجع إلى قندهار، ليعاون غزو الهند عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م، فالتقى السلطانَ إبراهيم اللودي في معركة باني بت الفاصلة، وانتصر عليه بعد أن صُرِع السلطانُ نَفْسُهُ في المعركة.

ودخل بابرُ دهلي، وتلا ذلك استيلاؤه على أجرا، وعلى كنوزها التي كان من بينها ماسة كوهي نور الشهيرة.

وفي السنة التالية هزم حلفاء الهنادكة بزعامة رانا سنج في معركة قنوة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م، كما قضى على ثورة الأمراء الأفغان في البنغال بعد أن استولى على (اللّه أباد) وبنارس. وبذلك امتدت إمبراطوريته من الأفغان غرباً إلى البنغال، ومن هملايا إلى جواليور جنوباً.

وتوفي عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م، وخلفه ابنه همايون.

جلال الدين أكبر ٩٦٣ - ١٠١٤هـ/ ١٥٥٦ - ١٦٠٥م:

بلغت الهند الإسلامية في عهد هذا السلطان أقصى اتساع لها، وكان من أكبر الفتوحات التي قام بها فتح جوندوانا وجيتور ورنتنبور والكجرات والبنغال.

وقد وصل بدولة الإسلام في الهند إلى ذروتها من حيث الاتساع والقوة والنظام والحضارة والرخاء.

وظلت إمبراطورية المغول في الهند قائمة لأكثر من قرنين ونصف من الزمان أصاب الإمبراطورية المغولية فيها قدر كبير من الاضمحلال والتفكك نجحت خلالها المصالح البريطانية في ترسيخ أقدامها ودعم نفوذها السياسي والعسكري حتى اضطر بهادر شاه الثاني آخر سلاطين المغول المسلمين إلى التنازل عن عرشه في عام ١٣٧٤هـ/ ١٨٥٨م.

وبذلك انتهت سلطنة مغول الهند العظام.

شهاب الدين محمد الغوري ٥٨٢ - ٦٠٢هـ / ١١٨٦ - ١٢٠٦م:

يرجع للغوريين الفضل في تثبيت أقدام الإسلام في الهندستان فقد عَدّوا بلاد الهند المحل الدائم لإقامتهم، واتخذوا دهلي عاصمة لهم، والغوريون هم المؤسسون لأول دولة إسلامية بالهند، وبهم يبدأ تاريخ الهند الإسلامية.

وشهاب الدين الغوري يرجع أصله إلى أبيه محمد الغوري الذي كان يعمل حاكماً للأقاليم الجبلية الواسعة الممتدة فيما بين غزنة وهراة في أفغانستان الحالية، وكان تابعاً للدولة الغزنوية فانتهز فرصة ضعف الغزنويين

واستولى على السلطة، وخلفه ابنه شهاب الدين في الاستقلال بالإقليم الذي كان يحكمه أبوه. وقد نجح شهاب الدين محمد الغوري في بسط سلطانه على البنجاب والسند وشمال الهند إلى خليج بنغال.

وفي عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م سار بجيش عدته ١٢٠,٠٠٠ مقاتل إلى دهلي وقنوج، فقضى على سلطان الأمراء الهنود، وحطم أصنام الهندوكية والبوذية.

وعهد إلى قائده ومملوكه قطب الدين أيبك بحكم أملاكه الهندية، وعادت دهلي عاصمة للمسلمين في الهند، وبنى بها قطب الدين جامعها المشهور قطب منار، كما احتل بنارس، وبنى بها مسجداً، ثم تقدم شرقاً إلى البنغال حيث أكبر أقاليم البوذية، فاحتل عاصمة البنغال عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م.

وعقب وفاة السلطان الغوري نَصَّب مملوكُه ونائبُه قطبُ الدين أيبك نَفْسَهُ سلطاناً على الهندستان، وبدأت بذلك دولة مماليك الهند.

فيروز تغلق ٧٥٢ - ٧٩٠هـ/ ١٣٥١ - ١٣٨٨م:

يرجع نسب فيروز تغلق إلى غازي تغلق أول سلاطين دولة آل تغلق الذي كان مُولَّداً من أبٍ تركي وأمٍ هندية زُطِّيةٍ. وكان غازي تغلق حاكماً لمنطقة دهلي إبان حكم الخلجيين الذين انتزعوا الحكم من الغوريين، واستطاعوا أن يمدّوا سلطانهم إلى شبه الجزيرة الهندية كلها.

(انظر شهاب الدين الغوري)

وكان غازي تغلق ـ جدّ فيروز تغلق ـ قد استطاع أن يتولى عرش دهلي عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢١م. وقد حكم آلُ تغلق الهند لمدة بلغت ٩٣ عاماً تُعدّ من العصور الزاهية للإسلام في الهند.

نجح فيروز تغلق في تثبيت أقدام سلطنة دهلي برغم المصاعب التي عاناها سلفه فخر الدين تغلق ٧٢٥ - ٧٥٢هـ/ ١٣٢٥ - ١٣٥١م في ردّ المغول عن السلطنة وقيام الثورات ضده لكثرة الضرائب والعسف بالتجار والزرع وسوء الأحوال الاقتصادية وفشل بعض المشروعات العسكرية.

ورث فيروز تغلق مملكة تمتد من الهملايا إلى جنوب الدكن، ومن البنغال إلى كابل، لكنه عجز عن إخضاع الأمراء الهندوكيين في الدكن.

ويُعدّ فيروز تغلق نموذجاً للسلاطين المصلحين في الهند؛ فقد أنشأ ديوان الخيرات لتزويج الفتيات الفقيرات، وأنشأ دور الشفاء، وأنفق على رابطات المجاهدين على حدود بلاد الإسلام، وأقام المساجد والرباطات والقصور والحمامات، وأنشأ ثلاث مدن جديدة غربي دهلي، وألغى عادة (الساتي) التي كانت تفرض حرق الأرملة حيّة مع جثة زوجها المتوفى.

وخلف فيروزَ تغلق (فيروز شاه) حفيدُه غياثُ الدين، ثم أخوه ناصرُ الدين محمود، وأخيراً إقبَالُ خان آخر سلاطين آل تغلق، وفي أيامه هجم تيمور لنك على سلطنة آل تغلق، وتربع على عرش دهلي.

محمود الغزنوي «محطم الأصنام» ٣٨٩ - ٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م:

خلف محمود الغزنوي أباه سبكتكين، مؤسس الدولة الغزنوية في تولي السلطة في إقليم غزنة، ونواحيها في منطقة تمتد إلى بشاور على نهر السند، وكان سبكتكين والد محمود الغزنوي في الأصل مملوكاً تركيا نشأ في بلاط عبد الملك ابن نوح الساماني الذي يرجع بأصله إلى الفُرس الساسانيين الذين أقاموا دولة من أعظم الدول في تاريخ إيران، وكانت عاصمتهم بخارى تموج بالتفوق الحضاري، فضلاً عن أنهم حققوا أعظم الانتصارات لنشر الإسلام.

وأثبت محمود الغزنوي أنه من أعظم القادة الفاتحين في تاريخ الإسلام- فإلى جانب نجاحه في القضاء على بقية الدولة السامانية وامتداد فتوحاته في إيران غرباً فقد نجح في مدّ حدود الإسلام شرقاً حتى شملت تلك الحدودُ الهندَ كلَّه، وعمل على نشر الإسلام الصحيح في كل نواحي السند إلى حوض البنجاب.

وفي عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م فتح كشمير التي بدأت تتحول إلى بلاد إسلامية، واستولى على قنوج عام ٤١٠هـ/ ١٠١٩م، وهدم نحو ١٠,٠٠٠ معبد هندوكي، واستولى على قلعة أسنجا على نهر الجانج، واتخذ لاهور عاصمة له عام ٤٠٢هـ/ ١٠١١م، وقضى على كل مقاومة للإسلام في شمالي الهند.

وعـاد محـمـود الغـزنوي مـرّة أخـرى إلى الهند عـام ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م، وأكمل إخضاع السند والبنجاب وحوض الجانج. . وتوفي محمود الغزنوي عـام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، وكـان لابنه مسعود الذي خلفه بعد وفاته نائب عنه يقيم في لاهور، وبقي سلطان المسلمين في الهند ثابتاً لم يتزعزع حتى انتهى أمر الدولة الغزنوية على يد شهاب الدين الغوري ٥٨٢ - ٦٠٢هـ/ ١١٨٦- ١٢٠٥م.

* بلاد الشام تدخل ديار الإسلام

كانت بلاد الشام في شمالي الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام خاضعة للروم، وكـانت تضم عند ذاك مناطق تمتد على وجه التقريب بين خطَّيْ ٣٦° و ٤٢° طولاً شـرقي جرينتش، و٢٧° و٣٠° عـرضاً شـمالي خط الاستواء، لتشمل مساحات شاسعة من بادية الشام وبلاد غسّان وما يليها شرقاً (المعروفة بالأردن) وفلسطين وسورية ولبنان، لتتاخم أرض الجزيرة بالعراق وحدود آسيا الصغرى، حيث مدينة أنطاكية التي كانت مقرّاً لنائب قيصر الروم.

ومن أهم المعالم الجغرافية بتلك المناطق نهر الأردن والبحر الميت وبحيرة طبرية بفلسطين والأردن، وسهل البقاع وجبال لبنان، ومجموعة أنهار

طبرية بفلسطين والأردن، وسهل البقاع وجبال لبنان، ومجموعة أنهار الليطاني والعاصي والزهراني والدامور وغيرها بلبنان، ونهر العاصي ونهر بردى ٨٠٠٨٠٠٨٠٠٨٠ . ونهر اليرموك ونهر قويق بسورية .

وكانت بلاد الشام تطل على بحر الروم غرباً، وتتصل بالإمبراطورية الرومانية (بيزنطة) برا وبحراً من الشمال والغرب، وبباقي ممتلكاتها من الجنوب. . وكانت تلك الإمبراطورية بما تمارسه من قهر وعنت في حكم الشعوب الخاضعة لها في الشام ومصر والشمال الإفريقي وجزر بحر الروم تمثل خطراً يهدد رسالة الإسلام في تحرير الشعوب من العبودية، وإتاحة الفرصة لها لتنضم إلى رسالة التوحيد.

دخلت بلاد الشام ديار الإسلام بعد معارك حامية شارك فيها عظماء القادة في جيش المسلمين من أمثال خالد بن الوليد - سيف اللّه المسلول - الذي انتصر في أجنادين عام ١٣هـ / ٦٣٤م على جيوش الروم، وفتح ذلك النصر الطريق أمام المسلمين للتقدم إلى دمشق، وأحكموا حولها الحصار في الوقت الذي تقدم فيه أبو عبيدة بن الجراح لملاقاة جيوش الروم وهزيمتها في بيسان. ثم عادت جيوش أبي عبيدة للمشاركة في حصار دمشق التي فُتحت في ١٥ من رجب عام ١٤هـ / ٣ من سبتمبر عام ٦٣٥م.

وفتح المسلمون حمص عام ١٥هـ / ٦٣٦م، ثم هُزِمَت الروم هزيمة

ساحقة في اليرموك عام ١٥هـ/ ٦٣٦م، مما اضطر هرقل إمبراطور الروم إلى سحب جيوشه إلى أنطاكية، وعاد هو إلى بلاده تاركاً للمسلمين استكمال فتح بلاد الشام، فوصلوا حلب، وطلب أهل القدس تسليم مفتاح المدينة إلى الخليفة عمر ابن الخطاب بيده، فذهب إليها، وتسلم المدينة في ربيع الآخر عام ١٦هـ/ ٦٣٧م. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت بلاد الشام بلاد إسلام.

وقد عاشت الأجيال الإسلامية المتعاقبة تَرُدُّ عن القدس كيد الكائدين المعتدين الذين طالما دفعتهم الأسباب الدينية إلى محاربة المسلمين من خلال الحملات الصليبية.

ولقد استمرت الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر طوال أربعة قرون، من أواخر القرن الحادي عشر إلى نهاية الربع الأول من القرن الخامس عشر الميلادي، عام ٤٩٢ - ٨٢٩هـ/ ١٠٩٧ - ١٤٢٦م. وتمكن الصليبيون من إقامة ثلاث إمارات صليبية في بلاد المسلمين إلى جانب إقامة مملكة صليبية في بيت المقدس، أولهُا إمارة الرها بالجزيرة الفراتية شرقاً عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، والثانية في أنطاكية والثالثة في طرابلس، وهما فيما بين عامي ٤٩٦ - ٥٠٣هـ/ ١١٠٢- ١١٠٩م. أما مملكة بيت المقدس فقد أقامها الصليبيون بعد أن اقتحموا أسوار المدينة وأنزلوا بأهلها مذبحة، قتل فيها ٧٠,٠٠٠ من سكانها، وكان ذلك في ١٥من يوليو ١٠٩٩م.

كان السلاح الناجح الفعّال في مقاومة الصليبيين هو وحدة العالم الإسلامي وبعث روح الجهاد الإسلامي في أرجاء هذا العالم، وأمام تلك الهجمة الصليبية الشرسة اختفت سائر المشاعر العصبية والقومية، وكان المحرك للمسلمين في سائر بقاع العالم الإسلامي هو الغيرةُ الدينية وحدها، لذلك نجد أن أتابك الموصل وهو تركي الأصل يجمع جنوده ويقتحم أراضي إمارة الرّها ويأسر عدداً من الجنود الصليبيين. نجد كذلك نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين من بلاد الجزيرة يكسر الأسطورة الإفرنجية وينتصر على الصليبيين جنوبي حلب عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م.

ونجد كذلك عماد الدين زنكي أمير الموصل ينجح في توحيد إمارتي الموصل وحلب، ويستولي على إمارة الرّها وما يتبعها عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، فيكسب بذلك نصراً عظيماً على الصليبيين.

وتتسع جبهة الجهاد بفضل الله، ثم بفضل جهود نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، فيضم إمارتي حلب ودمشق إلى بلاده ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، ويتمكن نور الدين من الفوز بمصر، ويعلن نفسه سلطاناً على المسلمين فيُفْتَحُ الباب لجهود صلاح الدين الأيوبي ولمن جاء بعد ذلك من المماليك لتصفية الوجود الصليبي بالشام ومصر.

وقُدِّر لبلاد الشام أن تعاني ماعاناه غيرُها من بلاد العالم الإسلامي على يد المغول.. فقد بدأ هولاكو حملته المخربة على العالم الإسلامي في ذي الحجة عام ٦٥٤هـ/ ديسمبر ١٢٦٥م، واتجه هولاكو بكل قوته إلى بغداد التي سقطت في يده في ٩ من صفر ٦٥٦هـ/ ١٥من فبراير ١٢٥٨م،

وارتكب فيها المغول مذبحة رهيبة، وقتل المستعصم آخر خلفاء بني العباس في بغداد، واستسلم أمراء الشام، فتقدم هولاكو واحتل حلب ودمشق، لكن العناية الإلهية كانت قد ادّخرت مماليك مصر لهزيمة المغول في موقعة عين جالوت ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م.

وجاءت هزيمة المغول الثانية على يد الأميرين الأيوبيين المنصور صاحب حماة، والأشرف صاحب حمص، خارج مدينة حمص في صفر ٦٦٠هـ/ ديسمبر ١٢٦١م.

* أهم المعارك بين المسلمين والروم في الشام

أجنادين:

معركة وقعت عام ١٣هـ/ ٦٣٤م، بين جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ومعه عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن معاوية وشرحبيل بن حسنة في ٣٠,٠٠٠ جندي، وجيوش الروم يقودها تيودور أخو هرقل في أكثر من ١٠٠,٠٠٠ جندي كثير الأسلحة قوي العتاد.

ودارت المعركة على جيش الروم، وانتصر المسلمون نصراً مؤزراً، فقتل أكثر من نصفه، وولّى الباقون الأدبار، وقتل قائد الروم، وكان وقع الهزيمة

على هرقل إمبراطور الروم كبيراً، فترك حمص وفرّ منها إلى أنطاكية، وكانت معركة أجنادين حلقة من سلسلة متصلة الحلقات من المعارك هدفها تخليص الشام من ظلم الروم، وتأمين حدود الدولة الإسلامية.

بيت المقدس:

لم تغفل عين الإسلام عن الأخطار التي كانت تتهدده في شمال الجزيرة العربية، لذلك دخل شمال شبه الجزيرة العربية في الخطة الشاملة للمغازي منذ عهد الرسول ﷺ الذي قاد جيش العسرة في غزوة تبوك إلى أرض غسان، وكان تعداد ذلك الجيش يقارب ٤٠٠٠٠ مقاتل. وتقهقر جيش الروم ليتخذ مكانه داخل بلاده مدافعاً، بعد أن كان في موقف الهجوم.

وبدأ إرسال الجيوش الإسلامية إلى الشام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفتحت دمشق في ١٥من رجب عام ١٤هـ/ ٣ من سبتمبر ٦٣٥م واستسلمت بعلبك عام ١٥هـ، وفتحت حمص، وحصل المسلمون على نصر حاسم في معركة اليرموك ١٥هـ، انسحبت على إثره بقايا جيوش الروم إلى أنطاكية، وبارحها هرقل عائداً إلى بلاده، واستكمل المسلمون فتح الشام حتى وصلوا إلى حلب. عند ذاك طلب أهل القدس تسليم المدينة للمسلمين على أن يتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه. وحضر عمر - رضي الله عنه - وأعطى النصارى كتاب الأمان الذي عرف في التاريخ باسم (العهدة العمرية)، وتم تسليم القدس إلى المسلمين في ربيع الآخر ١٦هـ/ مايو ٦٣٧م.

وظل تهديد الروم للقدس خطراً قائماً في الفترات التي اعترى الضعف فيها الخلافة الإسلامية بعد ذلك حتى مجيء الصليبيين إلى الشرق العربي.

واستطاعت الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية منتهزتين فرصة ضعف دولة السلاجقة - الاستيلاء على بيت المقدس، فاقتحموا الأسوار في ١٥ من يوليو ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، وأنشأوا مملكة أخرى في فلسطين، عاصمتها القدس إلى جانب ثلاث إمارات صليبية، هي أنطاكية وطرابلس بالشام، وإمارة الرها بمنطقة الموصل بالعراق. لكن صلاح الدين الأيوبي بعد أن انتصر في حطين على الصليبيين في ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م دخل القدس وحررها من الصليبيين.

وأسفرت الحملة الصليبية الثالثة عن عقد صلح الرملة بين صلاح الدين الأيوبي وبين الصليبيين ٥٨٨هـ/ ١١٩٢، وبمقتضاه سُمح للصليبيين بالحج إلى بيت المقدس، وعادت القدس عربية إسلامية.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى احتل الإنجليز القدس في ٩ من ديسمبر ١٩١٧م بعد أن أصدروا خلال العام السابق وعدا بأن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين. وبدأ عهد الانتداب البريطاني على فلسطين بنهاية الحرب، وظلت بريطانيا منتدبة لحكم فلسطين من قبل عصبة الأمم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إلى أن أعلن نهاية الانتداب البريطاني في ١٥ من مايو ١٩٤٨م، وزامن إلغاء الانتداب إعلان قيام دولة إسرائيل، وبدأ الصراع العربي الإسرائيلي الذي أدى إلى قيام حرب ١٩٤٨م، ثم حرب ١٩٥٦م،

ثم حرب ١٩٦٧ ، وأخيراً تحرير بعض المناطق العربية التي احتلتها إسرائيل من البلدان العربية ، وبخاصة تحرير سيناء وذلك عام ١٩٧٣م، والتي تعرف بحرب العاشر من رمضان/ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م .

دمشق:

كانت دمشق الوجهة التي اتجه إليها جيش يزيد بن أبي سفيان (٢٤من رجب ١٢هـ/ ٤ من أكتوبر ٦٣٣م)، وهو أحد الجيوش الأربعة التي أرسلها أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لفتح الشام وتخليصها من جند الروم .

وقد تم للمسلمين الانتصار على جيوش الروم في دمشق بعد أن توحدت جيوش المسلمين تحت قيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وأحاط المسلمون بالمدينة التي تحصن بها الروم بعد أن أغلقوا أبوابها ، ووقف خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ بجنوده على الباب الشرقي ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية ، وعمرو ابن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ويزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير ، رضي الله عنهم . ودارت مناوشات بين المهاجمين والمدافعين ، كما دارت اتصالات بين المسلمين وبعض الأساقفة في المدينة المحاصرة ، ودخل المسلمون من ناحيتين- حيث دخل خالد بن الوليد المدينة من الباب الشرقي قسراً، ودخلها أبو عبيدة من باب الجابية سلْماً . وكان

فتح دمشق في ١٥ من رجب عام ١٤هـ / ٣ من سبتمبر ٦٣٥م.

وبعد فتح دمشق اتجه المسلمون إلى بعلبك التي استسلمت نحو ٢٥ من ربيع الأول عام ١٥هـ، ثم ساروا إلى حمص وفتحوها في شهر ربيع الآخر عام ١٥هـ. ثم كان بعد ذلك وقعة اليرموك الحاسمة.

(انظر بيت المقدس)

وظلت دمشق حصناً للإسلام، وكانت عاصمة دولة الخلافة في عهد الأمويين منذ عام ٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م، لكنها تعرضت بعد ذلك وعلى مرّ العصور الإسلامية لهجمات كان محورها النزاع بين الأسر الحاكمة على مستوى الوطن العربي أو هجمات من أعداء الإسلام.

- فقد هاجمها القرامطة بقيادة الحسين بن أحمد عام ٣٦٠هـ / ٩٧١م؛ بأمل انتزاعها من الفاطميين واستولى عليها، ومنها هاجم الفاطميين في مصر، واقترب من القاهرة.

- وحاول الحمدانيون انتزاع دمشق من الإخشيديين، لكن الإخشيد تصالح معهم على جزية سنوية مقابل الاحتفاظ بدمشق.

- وفشلت الحملة الصليبية الثانية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا وكوزاد الثالث ملك ألمانيا ٥٤٢ - ٥٤٣هـ / ١١٤٧ - ١١٤٩م في الاستيلاء على دمشق.

ونجح نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي أمير الموصل في ضم دمشق إلى بلاده بهدف تكوين جبهة إسلامية قوية لصدّ الصليبيين.

ودخل صلاح الدين الأيوبي دمشق في ربيع الثاني عام ٥٧٠هـ / أكتوبر ١١٧٤م، ومنها دخل حمص، وأعلن نفسه سلطاناً على مصر والشام بهدف توحيد مصر والشام في مقاومة الغزو الصليبي.

- وفيما بين ٦٤٩ - ٦٦٤هـ / ١٢٥١ - ١٢٦٥م غزا هولاكو بغداد، وتقدم شرقاً فغزا حلب وشمالي الشام وخرّبَ دمشق، ثم عاد المغول إلى الشام مرة أخرى، واستولوا على حلب ذي الحجة ٦٥٨هـ / نوفمبر ١٦٠م، ثم استولوا على دمشق في ربيع الثاني ٦٥٩هـ / ١٢٦١م، ووصلوا إلى غزّة وبيت جبرين والجليل.

- واستولى تيمور لنك على دمشق عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م، وخرّبها، وحمل معه ٤٠٠ عامل من أحسن الصناع بها. ولقي تيمور لنك حتفه في طريق عودته إلى عاصمته سمرقند عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، ونشبت فتن داخلية بين خلفائه تمكن المماليك خلالها من استعادة شمالي الشام، بما في ذلك دمشق. واستولى المماليك على جزيرة قبرص وهدّدوا جزيرة رودس في عهد السلاطين المماليك بارسباي وجقمق. وظلت دمشق تابعة للدولة المملوكية بمصر إلى أن جاء العثمانيون للشام ٩٢٣هـ / ١٥١٦م، ولمصر ٩٢٤هـ / ١٥١٧م، فدخلت دمشق تحت السيادة العثمانية.

- وفي محاولة محمد علي والي مصر من قبل السلطنة العثمانية تثبيت

حكم مصر في أسرته من بعده قام ابنه إبراهيم باشا بغزو الشام عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، بل لقد هزم الجيش المصري جيوشَ السلطان محمود الثاني في موقعة نزيب (نصيبين) ١٨٣٩م، وأجبرته بريطانيا وفرنسا بمعاهدة لندن ١٨٤١م على الانسحاب من الشام.

- واعترفت تركيا في معاهدة لوزان ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م بانفصال سورية عنها ووضعت سورية تحت الانتداب الفرنسي، ونالت سورية استقلالها عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م بعد كفاح وطني مسلح ضربت أثناءه دمشق بالقنابل. ومع ذلك كافح الشعب السوري حتى نال الاستقلال وأصبحت دمشق عاصمة سورية العربية.

اليرموك ٥ من رجب ١٥هـ/ ١٢من أغسطس ٦٣٦م:

كانت اليرموك حلقة بارزة في سلسلة المعارك بين المسلمين والروم في بلاد الشام لتخليص تلك البلاد من ظلم الروم، ولتأمين ظهر الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة اللّه..

وتُعدّ اليرموك موقعة حاسمة في تلك الحرب بين المسلمين والروم؛ حيث جمع هرقل إمبراطور الروم جيشاً يصل تعداده إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ جندي إثر الهزائم التي لحقت بالروم في أجنادين وبُصرى ودمشق ومرج الصُغَّر وفحل وبيسان وبعلبك وحمص، وكانت قيادة جيش الروم بيد جبلة ابن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، ومعه ماهان القائد الأرمني.

وكان جيش المسلمين نحو ٢٤,٠٠٠ مقاتل بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان. ودارت المعركة عنيفة بالقرب من نهر اليرموك، وتمّ النصر الحاسم بفضل الله للمسلمين.

ولما بلغ هرقل هزيمة جنده فرّ من أنطاكية إلى القسطنطينية. ويُروى أنه ودّع سورية وداعاً حزيناً - قال فيه:

«السلام عليك يا سورية، سلام مودع لا يرجو اللقاء».

* من قادة الجيوش الإسلامية في حروب الشام

ابن أبي السرح:

هو أبو يحيى عبد اللّه بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري، ينتهي نسبه إلى عامر بن لؤي، أسلم قبل فتح مكة وهاجر، وكان يكتب الوحي للرسول ﷺ، ثم ارتد مشركاً ثم عاد وأسلم في عام الفتح فحسن إسلامه، ولم يظهر منه شيء ينكر عليه.

كان ابن أبي السرح أخاً لعثمان من الرضاعة، لهذا اتصلت سيرته بعد ذلك بخلافة عثمان، وقد توفي على إثر مقتله.

كان ابن أبي السرح على فرقة الميمنة في جيش عمرو بن العاص الذي تمّ له فتح مصر عام ٢٠هـ/ ٦٤١م في خلافة عمر، فولاّه على الصعيد عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، فلما توفي عمر وخلفه عثمان سأله ابن العاص عزل ابن أبي السرح فلم يوافقه عثمان، بل إن عثمان عزل ابن العاص نفسه، وولّى

ابن أبي السرح على مصر كلها، فكان ذلك من أسباب الجفاء بين عمرو وعثمان. غير أن هذا لم يمنع عمراً من قيادة الجيش الذي بعثه به الخليفة لاسترداد الإسكندرية من البيزنطيين عام ٢٥هـ/ ٦٤٦م، وتم النصر على يديه.

امتدت ولاية ابن أبي السرح على مصر عشر سنين من ٢٥ - ٣٥هـ/ ٦٤٦ - ٦٥٥م، قام خلالها بثلاث حملات عسكرية ناجحة، ففي عام ٢٧هـ/ ٦٤٨م مدّ الفتوح في الشمال الإفريقي إلى تونس بعد المدد الذي جاءه بقيادة عبد اللّه ابن الزبير.

وفي عام ٣١هـ/ ٦٥١م أعاد غزو بلاد النوبة، وانتهى إلى دنقلة وعقد صلحاً مع ملكها. وفي عام ٣٤هـ/ ٦٥٤م قاتل البيزنطيين بحراً في معركة (ذات الصواري) فكانت أول مواجهة على الماء بين المسلمين وبيزنطة، وعند عودة ابن أبي السرح إلى مصر بدأت الفتنة بالطعن في عثمان، فسار إلى المدينة مستخلفاً على مصر عقبة بن عامر الجهني. وفي شهر شوال من عام ٣٥هـ/ ٦٥٥م، وثب ابن أبي حذيفة على نائبه فأخرجه من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان وأقام نفسه والياً، فلما عاد ابن أبي السرح وبلغ القلزم منعه ابن أبي حذيفة من الدخول، فسار شمالاً إلى عسقلان، وفيها توفي عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

أسامة بن زيد:

صحابي جليل، هو أسامة بن زيد بن حارثة، أبوه زيد بن حارثة الكناني رضي الله عنهما، استشهد في غزوة مؤتة.

ولد أسامة بمكة في العام السابع قبل الهجرة / ٦١٥م، ونشأ في بلاد الإسلام، واشترك في وقعة مؤتة. وعندما حجّ النبي ﷺ إلى مكة في العام الثامن للهجرة أردف أسامه وراءه، ثم اشترك في غزوة حنين، وبعثه الرسول ﷺ في العام الذي مرض فيه ١١هـ على رأس جيش إلى الشام، وامتثل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لإرادة الرسول ﷺ، فولاّه على أولى حملات المسلمين على الشام، فعاد منها موفقاً، وتولى إمارة المدينة ثم البصرة في خلافة عثمان رضي اللّه عنه.

واعتكف في أواخر حياته لحين وفاته بالمدينة عام ٥٤هـ / ٦٧٤م.

بيبرس:

الظاهر بيبرس سلطان مصري، هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقواري نسبة إلى الأمير علاء الدين البندقواري وكان بيبرس من مواليه. يرجع أصله إلى بلاد القبجاق حول البحر الأسود، ثم انتقل إلى الملك الصالح الأيوبي الذي أعتقه وجعله من خاصّته، وعاصر قيام دولة المماليك الأولى في مصر وتدرج في المناصب، ودخل في خدمة الملك المظفر قطز، الذي جعله أتابكا على العسكر. واشترك في معركة عين جالوت ضد التتار، وأبدى شجاعة نادرة، وخلف الملك المظفر بعد مقتله بعد أن أجمع أمراء المماليك على انتخابه، فدخل القاهرة عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. وامتد حكمه ١٧ عاماً بلغت مصر خلالها أقصى مجدها إبان العصر المملوكي بعد أن حالفه النصر ضد الصليبيين في الشام، فاسترد

يافا وطبرية وأرصون وأنطاكية وصفد وحصن الأكراد، وأخضع بلاد أرمينية، واستولى على عاصمتها سيس، وقضى على نفوذ طائفة الباطنية (الحشاشين) في سوريا، وأوقف الغزو المغولي على الشرق العربي بعد موت هولاكو، ومدّ سلطانه إلى بغداد بعد الاستيلاء عليها وإلى السودان الشمالي بعد فتح النوبة ودنقلة من ثم دخل النوبيون قاطبة في الإسلام، ونقل عاصمة الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة.

عُني بيبرس بالآداب العامة في مصر فقضى على كثير من البدع، وأقام داراً للعدل بجوار القلعة عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، وكان يجلس فيها للنظر في المظالم، وأمّن طرق التجارة في الهند وطريق الحج إلى مكة، واستنّ إرسال الكسوة السنوية لغطاء الكعبة وعُني بالعمارة، وأقام منشآت في شتى أنحاء إمبراطوريته، منها عمارة الحرم النبوي، وقبة الصخرة بالقدس وقلعة دمشق. ومن آثاره بالقاهرة مسجده الذي يعرف بجامع الظاهر. وجدّد الجامع الأزهر. وتوفي عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.

خالد بن الوليد:

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، صحابي وقائد إسلامي. كان خالد قبل إسلامه من فرسان قريش، واشترك معها في موقعة أحد ضد المسلمين. أسلم خالد عام ٧هـ/ ٦٢٨م مع عمرو بن العاص في يوم واحد بعد صلح الحديبية. واشترك خالد بعد إسلامه في غزوة مؤتة عام ٨هـ/ ٦٢٩م، وحمل راية المسلمين بعد مقتل أمراء الجيش

الثلاثة. وشهد مع الرسول في العام نفسه فتح مكة، ثم شهد حُنَيْناً والطائف، وندبه الرسول ﷺ إلى نجران لدعوة بني الحارث إلى الإسلام فتمّ له ذلك. وندبه أبو بكر بعد وفاة النبي لقتال أهل الرِّدة عام ١٢هـ/ ٦٣٣م، فهزم مسيلمة وجيشه، كما هزم طليحة وجيشه من بني أسد.

أوفده أبو بكر إلى العراق ومعه المثنى بن حارثة فهزم جيوش الفرس واستولى على الحيرة والأنبار، واتصلت سيرة خالد بعد فتوح العراق الأولى بانتصاراته في حروب الشام؛ ذلك أن أبا بكر سيّره عام ١٣هـ/ ٦٣٤م إلى الشام لنجدة أبي عبيدة في قتاله مع البيزنطيين، وتولى القيادة العامة في معركة اليرموك الفاصلة، وانتصر على الروم، ثم اشترك في حصار دمشق، وفتحها عام ١٤هـ/ ٦٣٥م. وفي أثناء ذلك توفي أبو بكر، فعزل عمر خالداً عن القيادة العامة، بيد أنه مع ذلك اشترك في الأعمال الحربية التي كانت في شمال الشام، فتم له الاستيلاء على حمص وحماة وقنسرين التي جعلها مقرا له.

وتوفي خالد بن الوليد - رضي اللّه عنه - عام ٢١هـ/ ٦٤١م.

صلاح الدين الأيوبي:

الملك الناصر صلاح الدين ابن الأمير نجم الدين أيوب. ولد في تكريت عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م، وانتقل مع أبيه إلى بعلبك؛ حيث عين أبوه واليا على تلك المدينة، وكان ذلك بعد مولد صلاح الدين بسنوات قليلة. حضر صلاح الدين إلى مصر عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م في صحبة أسد الدين شيركوه

وأمره شيركوه باحتلال بلبيس وناحيتها، وأن يجمع منها الخراج، ودخل صلاح الدين وشيركوه في نزاع مع شاور الذي كان وزيراً للخليفة العاضد في مصر، ثم عادا إلى الشام في مستهل عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، ثم رجع صلاح الدين مرّة ثانية إلى مصر صحبة شيركوه لتأديب شاور وحليفه الصليبي أموري ملك بيت المقدس، وانتهت المعارك هذه المرّة بعقد صلح مع أموري عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. لكن أموري تنكر للصلح الذي عقده، وهاجم بلبيس فحضر صلاح الدين صحبة شيركوه للمرّة الثالثة واضطر أموري للتقهقر عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م.

وعين صلاح الدين وزيراً على مصر من قبل الخليفة عقب وفاة شيركوه في جمادى الآخرة ٥٦٤هـ/ مارس ١١٦٩م، وكانت له إلى جانب ذلك قيادة جند الشام فكانت الفرصة متاحة لظهور عظمة صلاح الدين.

كان صلاح الدين أقرب إلى رجل السياسة منه إلى رجل الحرب، وكان بارعاً موفقاً في اختيار معاونيه، وملَك صلاح الدين زمام الحكم في مصر.

حيكت ضد صلاح الدين مؤامرات داخل قصره فقضى على المتآمرين من غلاة الشيعة والنوبيين والأحباش، وعدّه الفرنجة مصدر تهديد لبيت المقدس، وقرر الصليبيون ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م الاستيلاء على دمياط، ثم السير إلى القاهرة، لكن حمية المصريين المدافعين عن المدينة جعلت اليأس يدب في قلب قيادة الحملة الصليبية، فعقد أموري الصلح مع صلاح الدين نظير مبالغ من المال يدفعها صلاح الدين.

وفي عام ٥٦٦هـ / ١١٧١م قام صلاح الدين بغزوة على فلسطين، وتقدم حتى بلغ الرملة وعسقلان، وعاد إلى مصر فاستولى على ميناء أيلة. وأوفد صلاح الدين أخاه توران شاه عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣ - ١١٧٤م، في حملة إلى اليمن نجحت في طرد عبد النبي الشيعي الذي كان قد استولى على اليمن.

وتوفي نورالدين زنكي أتابك الشام عام ٥٦٩هـ، في الحادي عشر من شوال/ الخامس عشر من مايو ١١٧٤م فأتاح ذلك لصلاح الدين حرية أكبر في تسيير شئون سلطنته.

ظفر صلاح الدين بغنائم لاحصر لها عندما حارب النورمانديين في جزيرة صقلية بعد حصار دام ثلاثة أيام، وبدأ يوجه اهتمامه إلى الشام عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، وقرر أن يتولى السلطان الحقيقي هناك، فأعلن استقلاله عن الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي، وألحق بجيش إسماعيل هزيمة كبيرة في حماة، ومع ذلك فقد ترك حلب تحت سيطرة إسماعيل. وأقطع بعض أقاربه حماة وحمص وبعلبك. ومنحه الخليفة ولاية مصر والنوبة واليمن والمغرب بناء على طلبه عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م. ولقب صلاح الدين نفسه بسلطان الإسلام.

وقام صلاح الدين في جمادى الأولى عام ٥٧٣هـ / نوفمبر ١١٧٧م بحملة سريعة على فلسطين والتقى الصليبيين، يقودهم بلدوين جنوبي الرملة، وهُزِمَ صلاحُ الدين هزيمة كبيرة في المعركة، ووقع ابن أخيه وغيره

من القادة في الأسر، لكنه استطاع بعد عامين أن يلحق ببلدوين هزيمة نكراء في مرج العيون في الثاني من المحرم ٥٧٥هـ / ١٠من يونيو ١١٧٩م، ووقع في الأسر عدد من الفرنجة.

وفي أواخر عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٧م غزا صلاح الدين منطقة الكرك، واستولى في عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧ على مدينة طبرية بعد حصار ستة أيام للمدينة، ومُنِيَ فيها الصليبيون بهزيمة منكرة، ووقع الملك وعدد كبير من الفرسان في الأسر وكفلت له بعد ذلك معركة حطين الفاصلة ٥٨٣هـ / يونيو ١١٨٧ السيطرة على فلسطين وبيت المقدس، وسقطت في يده حصون طبرية والناصرة والسامرة وصيدا وبيروت وبترون وعكا والرملة وغزة وحبرون، واستولى على بيت لحم في رجب ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، واسترد بيت المقدس. ودمّر صلاح الدين كل ما له علاقة بالصليبيين، وقام بترميم قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وشيد المستشفيات والمدارس في ذكرى تلك المناسبة العظيمة. وشارك العالمُ الإسلاميُّ في الاحتفال باسترداد بيت المقدس، ولم يبق في يد الصليبيين غير أنطاكية وطرابلس وصور. ومُنِيَ صلاح الدين بعد ذلك في حصاره مدينةَ صور بالهزيمة، وإن كان قد استولى على اللاذقية وجبلة وصهيون وسرمين وبرزوبة، ثم عقد الهدنة مع الصليبيين لسبعة شهور، وانتهت حملته عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩م. . ونجح الصليبيون بعد ذلك في استعادة عكا بعد حصار طويل سقطت إثره عكا في

جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/ يوليو ١١٩١م، وعقد الصلح أخيراً بين الجانبين، بمقتضاه يتنازل الصليبيون عن بيت المقدس ويسلمون الصليب المقدس. وكان ذلك في ٢٢من شعبان ٥٨٨هـ/ ٢من نوفمبر ١١٩٢م.

وداهم صلاحَ الدين المرضُ في صفر ٥٨٩هـ/ فبراير ١١٩٣م، وتوفي بعد ذلك بأربعة عشر يوماً وهو في الخامسة والخمسين من عمره، ودفن بدمشق.

* انتشار الإسلام في شرق آسيا

في الصين:

يصل عدد سكان الصين إلى نحو مائتين وألف مليون نسمة، عدد المسلمين منهم نحو ١٠٠ مليون مسلم.

ولقد كانت هناك علاقات وتعاملات بين العرب والصين قبل ظهور الإسلام، وكان المسلمون في مطلع الإسلام يعرفون الصين وثقافتها.

وكان هناك طريق بحري كما كان هناك طريقان برِّيان يربطان العالم الإسلاميَّ بالصين. وكان الطريق البحريُّ يبدأ من ميناء سيراف على الخليج، ويمر بسواحل الهند وسيلان والملايو إلى موانئ الصين الجنوبية. أما الطريق البري فكان يبدأ من سواحل الشام مارّا بالعراق وإيران، ثم يأخذ أحد اتجاهين:

الاتجاه الأول يمرُّ عبر تركستان مارّا بسمرقند، ويسمى طريق الحرير.

أو عبر كشمير ويسمى طريق التوابل.

وهناك روايات كثيرة حول وصول الإسلام إلى الصين، حيث تشير إلى تكرار الزيارات والسفارات بين المسلمين والصين، منها أن وفوداً عربية من لابسي الملابس البيضاء (الأمويين) ولابسي الملابس السوداء (العباسيين) وصلوا إلى الصين إبّان العهدين الأموي والعباسي.

هذا إضافة إلى أن إمبراطور الصين رفض معاونة يزدجرد آخر ملوك الساسانيين بحملة عسكرية ضد العرب، وأرسل الإمبراطور بدلاً من ذلك سفيراً إلى الجزيرة العربية ليتعرّف أحوالها في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، وأحسن الخليفة استقباله وأرسل معه إلى إمبراطور الصين سفيراً من العرب، وزار ابن بطوطة الرحالة المسلم مدينة كانتون.

وانتصر جيش أبي مسلم الخراساني على جيش كسيان رسي في معركة الطلاس في الصراع الذي كان يدور بين المسلمين والصين حول منطقة طشقند.

وكان عصر المغول بالصين ٦٧٥ - ٧٦٨هـ / ١٢٧٧ - ١٣٦٧م من أزهى عصور انتشار الإسلام بالصين. واختار قبلاي خان إمبراطور الصين عالماً مسلماً عيّنه في وظيفة عالية في بكين عاصمة الإمبراطورية فنشر الإسلام في المنطقة. وكان اعتناق الدين الإسلامي إلى جانب معرفة لغة المغول شرطين أساسيين لتولي أهل الصين الوظائف العامّة في ذلك العهد.

وكانت الإمبراطورية المغولية بالصين تضم ١٢ ولاية كان على رأس ثمان منها حكام مسلمون.

وعندما استولى الصينيون على تركستان الشرقية عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وأطلقوا عليها اسم سينكيانج في عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٨١م كان المسلمون يمثلون ٨٥٪ من سكانها البالغ عددهم ٩ ملايين نسمة.

وكان قتيبة بن مسلم قد فتح هذه المنطقة، وأرسل منها مبعوثه إلى إمبراطورية الصين وعاد المبعوث محملاً بالهدايا.

(انظر قتيبة بن مسلم)

وفي العصر الحديث أعلنت حكومة الصين الشعبية أن سينكيانج دولة تتمتع بالحكم الذاتي.

وأتى على المسلمين في الصين وقت كان عليهم فيه أن يتجمعوا في بلاد محددة تقريباً خشية أن يصيبهم الاضطهاد. وتجمع المسلمون في عهد الجمهورية بالصين ١٣٢٩ - ١٣٦٧هـ/ ١٩١١ - ١٩٤٩م، في ولايات الشمال، مثل قانصوه، وننغ، وتسي تفاي وسينكيانج.

وعندما أعلنت الصين دولة شيوعية في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م اضطر كثير من المسلمين إلى الهجرة إلى تايوان وإلى الهند وباكستان والسعودية ومصر، لكن الغالبية العظمى منهم بقيت في الصين.

وقد نعم المسلمون بعد انتهاء الثورة الثقافية بالصين عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م، بقدر وافر من الحرية لتأدية الشعائر الدينية، وأعيد فتح المساجد للعبادة، وأصبح للمسلمين مكانة طيبة في الصين، ومنهم كثيرون يشغلون مراكز مرموقة.

* شخصيات إسلامية في الصين

قتيبة بن مسلم الباهلي:

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي أبو حفص، كان والياً على خراسان وبلاد المشرق من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م. وظلّ قتيبة بن مسلم والياً على تلك المناطق نحو ثلاثة عشر عاماً امتدت حتى عام ٩٩ هـ/ ٧١٧م.

ويُعدّ قتيبة بن مسلم صاحب الفضل الأول في فتوح ما وراء النهر. كان قتيبة يحذو حذو سلفه المهلب بن أبي صفرة، الذي كان عاملاً على خُراسان في توجيه الضربات السريعة المتلاحقة. وقد ألقى قتيبة الهلع في نفوس قبائل الترك التي كانت تسكن تلك المناطق، فهابوه مهابة عظيمة.

قام قتيبة بأولى حملاته على طخارستان السفلى، وثَبَّتَ أقدام المسلمين فيها عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م، وقام بحملة كبيرة على بخارى عام ٨٧ - ٩٠هـ/

٧٠٦-٧٠٨م، وأتم فتح بيكند ٨٧هـ/ ٧٠٦م، ثم تومكشت و راميثة، وتم له فتح بخارى نهائيا عام ٩٠هـ/ ٧٠٨م. وخلال الفترة من ٩١ - ٩٣هـ/ ٧٠٩ - ٧١١م تمكن قتيبة بن مسلم من تثبيت قواعد الإسلام في وادي جيحون (أموداريا) كله، وتمّ له فتح سجستان عام ٩٢هـ/ ٧١٠م، وفتح إقليم خوارزم ٩٣هـ/ ٧١١م، ووصلت فتوحاته إلى سمرقند وضمها نهائيا إلى دولة الإسلام.

وخلال الفترة ٩٤ - ٩٦هـ/ ٧١٢ - ٧١٤م أتم قتيبة فتح حوض نهر سيحون (سيرادرايا) إلى أبعد مدى بلغته في ذلك الوقت جيوش المسلمين في شرقي إيران بما فيه من مدن، ووصل في نهايتها إلى فرغانة، ثم دخل أرض الصين سنة ٩٦هـ/ ٧١٤ - ٧١٥م، وأوغل في مقاطعة سينكيانج ووصل إلى كاشغر، وجعلها قاعدة إسلامية.

كان قتيبة على بطولته دمث الأخلاق، داهية، طويل الرويّة، راوياً للشعر، عالماً به. قال أحد الأعاجم بعد مقتله بيد وكيع بن حسان التميمي بفرغانة: «يامعشر العرب، قتلتم قتيبة، ووالله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا». وقال المرزباني: «وأهل البصرة يفخرون به وبولده».

* العراق:

يقع العراق في جنوب شرقي آسيا، ويحده من الشمال تركيا، ومن الشرق إيران، ومن الجنوب الشرقي الخليج العربي، ومن الجنوب الكويت والمملكة العربية السعودية، ومن الغرب الأردن وسورية.

ومساحة العراق ٤٣٨٤٤٦ كم[٢]، وتمتد حدوده البرية إلى مسافة ٣٥٥٠ متر على ساحل الخليج العربي، وحدوده البحرية على ساحل الخليج العربي ٦٠كم، وسكان العراق ١٨ مليون نسمة (إحصاء ١٩٩١م).

وفيما يأتي نبذة عن مراحل انتشار الإسلام بالعراق منذ فجر الإسلام الأول:

أ- في عهد الخلفاء الراشدين ١١- ٤٠هـ/ ٦٣٢- ٦٦١م:

كانت العراق جزءاً من بلاد فارس، وقد بدأت المرحلة الأولى في فتح المسلمين للعراق بمناوشات قام بها شيخ قبيلة شيبان - وهي من أقوى القبائل قرب الحيرة - المثنى بن حارثة الشيباني لجماعات الفرس القريبة من منازل بني شيبان.

وأذن أبو بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ للمثني في غزو الفرس، فسار المثنى حتى نزل خفّان، ودعا قومه إلى الجهاد فاستجابوا، وبقي المثنى في خفّان انتظاراً لتعليمات أبي بكر.

وقام خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في أول المحرم عام ١٢هـ/ مارس ٦٣٣م، ففتح مع قواده ذات السلاسل والأبلة، وكانت الأخيرة تسمى فرْجَ العراق، أي مدخله. وكان بها مَسْلَحَةٌ للفرس. ثم تقدم خالد إلى ألّيْس على نهر الفرات، ومعه المثنى بن حارثة الشيباني ففتحها، ثم فتح الحيرة، وصالحه أهلُها على الجزية.

وتقدم خالد عبر الفرات إلى شاطئه الشرقي حيث توجد مدينة الأنبار وبها مخازن غلال الفرس ففتحها.

وكانت وقعة الجسر بين المسلمين والفرس في ٢٣من شعبان عام ١٣هـ/ أكتوبر ٦٣٤م، عندما أرسل عمر بن الخطاب أبا عبيد بن مسعود الثقفي والمثنى بن حارثة الشيباني تحت قيادته ليلتقيا قائدَ الفرس بهمان جاذَوَيْه وجيوشَه. وكان الفرس يستخدمون الفيَلَة في المعركة، وكان من بينها فيل أنزل بالمسلمين أذى كثيراً. وبرك هذا الفَيل على أبي عبيد بن مسعود قائد المسلمين فقتله. وأراد المسلمون التراجع، وكانوا قد أقاموا جسراً على مجاري الماء فوجدوه مقطوعاً، فغرق من المسلمين جمع كبير. ولم ينتصر المسلمون، وأمرهم عمر بن الخطاب بالعودة.

ثم كان انتصار المسلمين بعد ذلك في موقعة البُوَيب في رمضان من السنة نفسها ١٣هـ/ نوفمبر ٦٣٤م ثأراً للهزيمة السابقة.

وكانت واقعة القادسية في شعبان عام ١٥هـ/ سبتمبر ٦٣٦م بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم. وانتهت الواقعة بنصر حاسم للمسلمين، وقتل فيها قائد الفرس رستم.

وتراجعت فلول الفرس إلى المدائن فاقتحمها المسلمون، ثم عبروا دجلة على ظهور الخيل، ودخلوا إيوان كسرى في صفر عام ١٦هـ/ ٦٣٧م، وهرب كسرى مع رجاله، وحمل معه بيت ماله وخزانته ونساءه وذراريه.

ثم كانت معركة جلولاء التي هزم فيها الفرس، وفتحت الطريق للمسلمين في بقية أرض العراق.

وسار النعمان بن عمرو بن مقرن المزني ومعه رجال من خيرة المسلمين إلى نهاوند ليلتقي الفرسَ، ووقع قتال من أعنف ما خاض المسلمون، وتم فتح نهاوند عام ٢٠هـ/ ٦٤١م، وسميت هذه المعركة فتح الفتوح.

وقام عياض بن غُنم بفتح الموصل وبلاد الجزيرة، ودخل الجزيرة من ناحية الرّقة في نصف شعبان عام ١٨هـ/ يوليو ٦٣٩م، ثمّ فتح الرّها، وكانت عاصمة ما ملكه في بلاد الجزيرة. ثم فتح هو وقوادُه حرّان ونصيبين وقرى الفرات ومدائنها صلحا وأرضها عَنْوَةً.

ب- في عهد الدولة الأموية ٤١هـ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م:

كانت البصرة والكوفة في العصر الأموي تمثلان العراق، ولهذا كانتا تسميان العراقَين، وكان يغشاهما كثير من الأجانب، وبخاصة جماهير الإيرانيين الذين كانوا أسرى حرب ثم اعتنقوا الإسلام.

وظلّ العراق طوال فترة حكم الدولة الأموية أرضاً للإسلام، رغم ما وقع به من فتن. وكانت العراق قاعدة للزحف الإسلامي الذي اتجه إلى الشرق، وظل العراق خلال فترة طويلة عاصمة النصف الشرقي للعالم الإسلاميِّ.

جـ- العراق في العهد العباسي١٣٢هـ - ٣٣٤هـ/ ٧٥٠م - ٩٤٦م:

وأصبح العراق عاصمة العالم الإسلامي خلال العصر العباسي. وخلال العصر العباسي الأول ١٣٢هـ - ٢٣٢هـ/ ٧٥٠- ٨٤٦م بلغت بغداد

عاصمة الخلافة الإسلامية أوج المجد، وبعد العصر العباسي الأول ابتليت بغداد بالأتراك (٢٣٢هـ - ٣٣٤هـ / ٨٤١ - ٩٤٦) الذين اتسع سلطانهم وطغيانهم فصار لهم السلطان يولون الخلفاء ويخلعونهم، فتدهورت الخلافة، وبقيت شعلة الإسلام يحملها بعض الأمراء والسلاطين في الدويلات الإسلامية المستقلة، منها دولة بني بويه والسلاجقة والخوارزميين، ثم جاء الزحف المغولي ليقضي على الدولة الخوارزمية وعلى الخلافة العباسية، ورغم ذلك بقي العراق حصناً وملاذاً للإسلام.

د- العراق تحت حكم المغول ٦٥٦ - ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٥م:

فتح سقوطُ الدولة الخوارزمية عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م الباب أمام المغول لشن هجمات عديدة على العراق والشام؛ فقد كانوا يريدون القضاء على عاصمة الخلافة الإسلامية في بغداد.

وحدثت تحرشات مغولية بجند الإسلام في شمالي العراق بعد أن تمكن المغول من إمارات فارس. واستولى المغول على ماردين ونصيبين والموصل، وواصلوا زحفهم تجاه سامراء عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م، لكن جند الخلافة أنزلوا بهم هزيمة شديدة عند جبل حمرين بالقرب من نهر دجلة.

وتقدم هولاكو بجيوشه نحو بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وأعمل فيها السلب والنهب والقتل لمدة ٤٠ يوماً، حتى تحولت بغداد إلى خرائب، وأصبح العراق تحت حكم المغول (٦٥٦ - ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٣٥م) ولاية ضمن الولايات الكثيرة التي كانت خاضعة لهم. وكانت أذربيجان هي العاصمة لدولة المغول خلال تلك الفترة.

وتَلَقَّبَ هولاكو بعد النصر بلقب الخان الأكبر إيلخان. واعتنق المغول الإسلام، وحاولت بغداد أن تستعيد شيئاً من مكانتها، ونشطت بعض الجهود الثقافية، وكانت اللغة الفارسية تنافس اللغة العربية، وعاش العراق فترة حاكمة.

واستطاعت بغداد أن تسترد بعض مكانتها عندما أصبحت عاصمة لدولة الجلائريين الذين كانوا شعبة من شعب المغول.. لكن سرعان ما تعرض العراق مرّة أخرى لاجتياح مغولي في عهد تيمور لنك، وذلك عام ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م. وأوقع تيمور لنك ببغداد كارثة مروعة للمرّة الثانية، فذبح الألوف من الناس، وهدم المساجد والمدارس والمساكن، وأعاد الخراب للعاصمة بغداد. وانتهت دولة الجلائريين عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م.

هـ- العراق تحت حكم التركمانيين ٧٨٢- ٩٠٣هـ/ ١٣٧٩- ١٤٩٧م:

خضع العراق لحكم الأسرة التركمانية الأولى ٧٨٢- ٨٧٤هـ/ ١٣٧٩- ١٤٦٩م، ثم خضع لحكم الأسرة التركمانية الثانية من عام ٨٠٦ - ٩٠٣هـ/ ١٤٠٣ - ١٤٩٧م. وخلال تلك الفترات نعمت بغداد بشيء من السلم. أما مركزها فلم يزد عن كونها عاصمة لولاية من الولايات التابعة لتلك العشائر التركمانية.

وقاسى العراق خلال حكم الأسرة التركمانية الثانية كثيراً من الحياة المرّة؛ فقد كان عصرها حافلاً بالاضطراب والحروب والفساد.

و- العراق تحت حكم الصفويين ٩١٤ - ٩٤١هـ / ١٥٠٨ - ١٥٣٤م:

كان موطن الصفويين الأصلي في أردبيل على الشاطئ الغربي لبحر الخزر. وتنتسب أسرة الصفويين إلى الشيخ صفي الدين، الجد الأعلى للأسرة. وقد استطاع الشاه إسماعيل الصفوي أن يكوِّن مملكة كان لها شأن كبير في التاريخ، فأسس الأسرة الصفوية، واتسع حكمه من نهر جيحون إلى خليج البصرة، ومن أفغانستان إلى الفرات، واستولى على بغداد عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، وبذلك أصبح العراق تابعاً لملك الصفويين الفسيح، وأصبح تابعاً لدولة مسلمة بعد أن ظلّ لعدة قرون تحت حكم جماعات أقرب إلى الوثنية.

وكان عهد الصفويين بالعراق عهد استقرار نسبي، وازدهر النشاط الاقتصادي رغم قصر فترة حكم الصفويين بالعراق التي استمرت من عام ٩١٤- ٩٤١هـ/ ١٥٠٨ - ١٥٣٤م.

ز- العراق تحت حكم العثمانيين:

حدث صراع بين الصفويين والعثمانيين على العراق، وكانت الدولة العثمانية التي وصلت فتوحاتها في أوربا إلى مدى كبير قد بدأت تتجه نحو آسيا.

وفي عام ١٥١٤م قاد السلطان سليم الأول جيوشه نحو تبريز عاصمة الصفويين، ونجح سليم الأول في إبادة قوات الفرس، ولكنه رغم ذلك لم

يطل بقاؤه في فارس أو العراق وإنما اتجه لفتح الشام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، ومصر ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وقام ولده سليمان القانوني بعد وفاته بتجريد ثلاث حملات كبرى ضد فارس فيما بين ٩٤١ - ٩٦٢هـ/ ١٥٣٤ - ١٥٥٥م، انتهت بتثبيت أقدام العثمانيين في منطقة أرضروم والعراق كله، بما في ذلك الأراضي الواقعة شمال شرقي نهر دجلة حتى بحيرة وان.

وفي أيام السلطان مراد الثالث (٩٨٢ - ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ - ١٥٩٥م) تمّ تجريد ثلاث حملات إلى فارس خلال الفترة من ٩٨٦ - ٩٩٣هـ/ ١٥٧٨- ١٥٨٤م، انتهت بأن عقد الشاه عباس الأول معاهدة سلام مع العثمانيين عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م، وفي عام ١٠٢٩هـ / ١٦٣٨م، عقدت معاهدة صلح أصبح العراق بمقتضاها جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وكانت تلك المعاهدة بين مراد الرابع العثماني وبين الصفويين.

وظلّ العراق على مدى أربعة قرون جزءاً من الإمبراطورية العثمانية.

ح- بريطانيا تحتل العراق خلال الحرب العالمية :

احتلت بريطانيا مدن البصرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، وبغداد ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، والموصل ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، وأصبح العراق واقعاً تحت الاحتلال البريطاني، ثم استصدرت بريطانيا قراراً من عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى بانتدابها على العراق، وظل العراق تحت الانتداب البريطاني حتى عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م، عندما أبرمت معاهدة بين بريطانيا والعراق أنهت عهد الانتداب.

ط- الثورات التحررية في العراق وإعلان الجمهورية ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م:

قامت بالعراق الحديث ثورات تحررية نجحت في إعلان الحكم الجمهوري بالعراق- كان أولها ثورة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م بقيادة عبد الكريم قاسم الذي انحرف عن أهداف الثورة، فقامت ثورة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ضده بقيادة عبدالسلام عارف ، ثم قامت ثورة ثالثة للتصحيح عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٦٨م بقيادة أحمد حسن البكر ، وأعقبه في قيادة الثورة نائبه صدام حسين الذي لايزال يرأس النظام العراقي حتى الآن .

وفيما يأتي بيان بأهم الوقائع الحربية التي خاضها القادة المسلمون الأوائل لنشر الإسلام بالعراق وفارس .

* المواقع الحربية في العراق التي خاضتها جيوش المسلمين الأوائل

وقعة البُويب رمضان ١٣هـ/ نوفمبر ٦٣٤م:

كان لهزيمة المسلمين في وقعة الجسر أثر سيئ على نفوسهم، فأخذوا يستعدون للثأر. وفي الوقت نفسه كان الفرس ـ وقد أخذتهم زهوة النصر الذي حققوه في تلك الواقعة ـ يستعدون؛ أملاً في طرد جيوش المسلمين خارج أراضي فارس .

وعبر جيش الفرس بقيادة مهران بن باذان الجسر إلى موضع يسمى البُويِّب، وعسكر المسلمون بموضع يسمى النخيلة، وكان قائد المسلمين المثنى بن حارثة.

والتقى المسلمون الفرسَ في قتال عنيف، انتهى بقتل مهران، وانتصر المسلمون. ويطلق على تلك الوقعة (يوم مهران) بعد أن لقي مهران حتفه فيها. وأعاد انتصار البُوَيِّب للمسلمين ثقتهم الكاملة في النصر بإذن اللّه.

وقعة الجسر ٢٣ من شعبان عام ١٣هـ/ أكتوبر ٦٣٤م:

كانت المعركة بين جيوش المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي الذي عينه عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - قائداً لجيش المسلمين، وكان تحت قيادته المثنى ابن حارثة، وكان جيش الفرس بقيادة بهمن، وحدث اللقاء عند بلدة تسمى قس الناطف.

وكان على المسلمين أن يعبروا مجرى الماء، ويعسكروا بموضع سُمِّيَ (المروحة)، وأقاموا جسراً ليعبروا عليه إذا دعت الضرورة.

كان بهمن يعتمد على بعض الفيلة المدربة على القتال، وقد هجم أبو عبيد على أحد الفيلة لكن الفيل تمكن من أن يبرك عليه ويقتله، وكثُر القتلُ بين المسلمين.

وأراد المسلمون التراجع فوجدوا الجسر الذي كانوا أقاموه قد قطع، وكان أن غرق الكثيرون من المسلمين الذين حلت بهم الهزيمة في تلك المعركة.

جلولاء ١٧هـ/ ٦٣٨م:

تقع جلولاء إلى الشمال من المدائن . . وكانت معركة جلولاء ثالث المعارك الرئيسة التي وقعت بين المسلمين والفرس .

كان سعد بن أبي وقاص قد عهد إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بقيادة الجيش نيابة عنه ، فتعقب الفرس إلى جلولاء .

وقد انتصر المسلمون على الجيش الفارسي الذي كان يقوده مهران الرازي في تلك المعركة نصراً عظيماً .

وقعة حلوان عام ١٧هـ / ٦٣٨م:

(انظر وقعة نهاوند)

وقعة القادسية شعبان عام ١٥هـ/ سبتمبر ٦٣٦م:

من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كان جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وكان معه بعض القادة المسلمين العظام ، منهم المغيرة بن شعبة ، وقيس بن هبيرة وطلحة ابن خويلد ، وكان قائد الفرس رستم .

ودامت المعركة أربعة أيام انتهت بنصر حاسم للمسلمين وقتل فيها رستم قائد الجيوش الفارسية ، واستسلمت فرقة حرسه ، وكان يطلق عليها جند شاهنشاه ، وكانوا ٤٠٠٠ رجل ، ما لبثوا أن اعتنقوا الإسلام طواعية ، وأصبحوا جزءاً من الجيش الإسلامي .

وترجع أهمية واقعة القادسية إلى أنها فتحت الطريق أمام الجيش الإسلامي ليتقدم دون مقاومة جدِّية من الفرس إلى المدائن. وغنم المسلمون في القادسية الشيءَ الكثيرَ من الأموال والسلاح.

وقعة المدائن: صفر عام ١٦هـ / مارس ٦٣٧م:

هُزِمَ رستم قائد الفرس، وقتل في وقعة القادسية، واستسلم حرسه المعروفون باسم جند شاهنشاه، ودخلوا في الإسلام، وانضموا إلى جيش سعد بن أبي وقّاص، وفرّت فلُولُ الجيش الفارسي شمالاً إلى المدائن فتعقبها جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص.

وعبر المسلمون نهر دجلة على ظهور الخيل، وتقدموا إلى المدائن، وكانت تسمي طيشفون فاقتحموها، ودخلوا إيوان كسرى.. واضطر كسرى إلى الهرب مع كبار رجاله، وحمل معه بيت ماله وخزائنه ونساءه وذراريه، وكانت الوقعة في صفر عام ١٦هـ/ مارس ٦٣٧م.

نهاوند:

تقع نهاوند إلى الشرق من جلولاء ضمن أراضي إيران. وقد كان جيش المسلمين بعد معركة جلولاء قد سار في إثر الجيش الفارسي إلى حلوان في شمال شرقي جلولاء، مما اضطر يزدجرد الثالث - إمبراطور الفرس - إلى الهرب من حلوان عام ١٦هـ/ ٦٣٧م. وكان انتصار المسلمين في حلوان دافعا لهم على إعداد العدّة لتتبع الفرس إلى نهاوند.

وفي عـام ٢٠هـ/ ٦٤١م وقـعت مـعـركـة نهـاوند التي يطلق عليـهـا فـتح الفتوح؛ فقد كانت المعركة الفاصلة بين جيش المسلمين وجيوش الفرس، كـان يقـود جيش المسلمين في المعركـة النعـمـان بن عـمرو بن مقـرن المزني -رضي الله عنه - الذي استـشـهـد في المعـركـة بعـد أن حـقق النصـر المؤزر للمسلمين، فقد قضي على جيش الفـرس قضاءً هوت بعده قـوة الفـرس واستسلم الكثير منها.

وقد انتهت دولة الفرس الساسانيين بعد تلك المعركة عندما قتل إمبراطور الفـرس يزدجـر عـام ٣١هـ/ ٦٥١م، وكـان من نتـائجـهـا المزيد من انتـشـار الإسلام في إيران وأفغانستان.

وفـيـمـا يأتي ثبت تاريخي بأعـمـال بعض القـادة المسلمين الأوائل الذين شاركوا في نشر الإسلام بالعراق وفارس.

* نماذج من القادة المسلمين في العراق

حذيفة بن اليمان:

صحـابي من الولاة، وهو أبو عبد اللّه حذيفـة بن حسيل بن جابر، عُرِف أبوه باليمان لأنه حالف اليمانية من بني عبد الأشهل.

ولد حذيفة بالمدينة وأسلم وشهد غزوة أحد، وكان حذيفة صاحب سر النبي ﷺ. رويت عنه أحاديث بلغت ٢٢٥ حديث.

اشترك في فتوح فارس، فدخل نهاوند ودينور وهمذان والرِّي بعد أن نقضت عهد سعد بن أبي وقاص، وتولى عليها فاشتهر بالعفة والقناعة.

وفي عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م ولاه عمر - رضي الله عنه - على أذربيجان فكان أول من تولّى عليها، وخلفه في العام التالي سماك بن الحارث. وبعد أن تمّ فتح أرمينية كان أول من تولى عليها عام ٣٢هـ/ ٦٥٢م، بعد مقتل عثمان وبيعة علي بأربعين يوماً.

سعد بن أبي وقاص:

هو سعد بن مالك بن أهيب، قرشي من بني زهرة. ولد نحو عام ٢٠ قبل الهجرة/ ٦٠١م، وأسلم وعمره ١٩ سنة، فكان سابع سبعة اعتنقوا الإسلام، كما أنه أحد المبشرين بالجنة.

كان سعد من الفرسان الشجعان في قريش، وواحداً من الذين كانوا حول الرسول، يحرسونه في مغازيه. شهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد، ودعا له الرسول ﷺ بقوله: «اللّهمَّ سدِّد سهمه وأجب دعوته».

اشتهر سعد بأثره فى فتح فارس، فبعد أن استولى المسلمون على الحيرة والأنبار بقيادة خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ارتدّوا إلى مشارف الصحراء، فلما تولى عمر الخلافة أراد أن يقود الجيش بنفسه،

لكن أصحابه أثنَوه عن عزمه، ووقع الاختيار على سعد لقيادة الجيش، وفي عام ١٥هـ/ ٦٣٦م خاض سعد معركة القادسية الحاسمة على رأس ٨٠٠٠ رجل في وجه الجيش الفارسي بقيادة رستم، وكان يتألف من ٣٠,٠٠٠ فهزم الفرس وقتل قائدهم، وتبعهم سعد إلى جلولاء في العام التالي وأوقع بهم. ثم إنه بعد أن لزم موضعه فترة كما أمره الخليفة تتبع الفرس فحاصر عاصمتهم المدائن، وتم له فتحُها بعد شهرين، وهي الواقعة التي استولى فيها على بساط كسرى وخزانته، فلما لجأ يزدجرد إلى حلوان بعث سعدٌ وراءه جرير بن عبد اللّه البجلي على رأس ٣٠٠٠ رجل فاستولى على حلوان صُلْحاً.

ينسب إلى سعد بناء مدينة الكوفة عام ١٧هـ/ ٦٣٨م، وهي أولّ مدينة شادها المسلمون. كما بدأ في العام نفسه ببناء البصرة، وأقرّ الخليفة موقعها بجوار الحيرة، وأسس مسجدها الجامع، وجعل الطرق تتفرع منه. كما بنى داراً للإمارة، واتخذ فيها بيت المال.

عزل عمرُ سعداً عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، ثم أعاده، ثم عزله، ثم طلب إليه أن يعود فأبى، فلما حضرت الوفاةُ عمرَ على إثر محاولة اغتياله جعله أحد ستَّة فيهم الشورى، وقال عنه: «إن وليها - يقصد الكوفةَ - سعدٌ فذاك، وإلا فليستعِن به الوالي؛ فإني لم أعزله عن عجز أو خيانة». وولاّه عثمان عليها فترة، ثم عزله. فلما استشهد عثمان أبى أن يدعوَ لنفسه، ولزم داره بالعقيق خلال الفتنة إلى أن توفي، فحمل على أعناق الرجال إلى المدينة، ودفن

بالبقيع، وصلّى عليه مروان ابن الحكم نحو ٥٤هـ/ ٦٧٣م في خلافة معاوية.

عياض بن غنم:

أحد القادة العظام لجيوش المسلمين في فتح منطقة شمال العراق وأرض الجزيرة، التي تقع بين نهري دجلة والفرات.

وكان أبو عبيدة بن الجراح قد ولّى عياض بن غنمٍ تلك المسئولية قبل وفاته، وعندما تولّى عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ الخلافة أمر عياضاً بمتابعة تلك المهمة.

دخل عياض بن غنم أرض الجزيرة بالعراق من ناحية الرَّقة شمالاً في نصف شعبان عام ١٨هـ/ يوليو ٦٣٩م، ثم فتح الرها ـ وكانت عاصمة ذلك الإقليم في عهد الروم ـ ثم فتح قرى الفرات ومدائنها.

وواصل عياض فتوحاته في حرّان ونصيبين وقرقيسياء وسميساط، ثم فتح سَرُوج وراسكيفا والأرض البيضاء.. وأتى قُريّات الفرات، وهي جسر (منيح)، ثم عين الوردة (رأس العين) وتَلّ مَوْزن وآمد وطور عبدين وحصن ماردين ودارا وما جاورها. وكان ذلك في أواخر عام ١٩ هـ وأوائل عام ٢٠هـ (نوفمبر/ ديسمبر عام ٦٤٠م)، وفتح عياض كذلك أرضوم ودخل الدرب فبلغ بدليس، وفتح خِلاط، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية، ثم عاد إلى الرّقة وحمص.. وكانت حمص مركز ولايته، وفيها مات عام ٢٠هـ/ ٦٤١م.

وهكذا فإنه يحق للبلاذري أن يقول في كتابه: «إن الجزيرة كلها فتح عياض ابن غنم بعد وفاة أبي عبيدة».

كان عياض قد أسلم قبل صلح الحديبية، وشهد بدراً وأحداً والخندق، ويُعدّ أول من اجتاز الدرب إلى الروم غازياً، وكان يقال له زاد الركب لكرمه.

وقد توفي عن ستين عاماً من عمره.

المُثَنَّى بن حارثة الشيباني:

كانَ شيخ قبيلة شيبان، وهي من أقوى القبائل الضاربة قرب الحيرة في الوقت الذي أتمّ الله فيه للمسلمين انتصاراتهم في حروب الرِدَّة على عهد أول الخلفاء الراشدين، أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه.

وكان يُناوشُ جماعاتِ الفرس القريبة من منازل قبيلة شيبان.. وعندما بلَغ نَبَأ ذلك أبا بكر - رَضيَ اللّه عنه - سأل عن المثنى، فقال عنه قيس بن عاصِم بن سِنَان المِنْقَريّ.

كان المثنى بن حارثة من أصدق المسلمين وأكثرهم إخلاصاً وأبْعدهمْ عن الأنانية وأكثرهم شهامة وأعزّهمْ مكاناً؛ فقد قَدَّم الكثير دون انتظار الجَزاء.

قَدِمَ المثنى بنُ حَارثة على أبي بكر، واستأذنه في غزو الفرس فأذنَ له، فسار المثنى حَتّى نزل خفّان ودعا قوْمه إلى الجهاد فاستجابوا له، وشارك المثنى خالد ابن الوليد في فتح أُلَّيْس على نهر الفرات، وشاركه في فتح الحيرة وغيرها من المدن.

وتولّى المثنى بن حارثة قيادة جيوش المسلمين في فتح العراق بأمر من أبي بكر في ١٣ من أبريل عام ٦٣٤م، ثم عمل المثنى تحت قيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي بعد أن تولّى عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - الخلافة، ثم تولّى مرّة أخرى مسئولية القيادة بعد مقتل أبي عبيد بن مسعود الثقَفي في وَقْعة الجسْر، وانتصر المثنى على الجيوش الفارسية في وَقْعة البويب في عام ١٣هـ/ ٦٤٣م، فاستعاد المسلمون ثقتهم بالنصر بعد هزيمة الجسر.

ولجأ المثنى بعد ذلك إلى خُطّة الغارات والضَّربات السريعة للفرس فيما بين أَلّيْس وكسكر جنوباً إلى الخَنافس وبغداد شمالاً، وكان يوغلُ في هجماته حتّى صفّين.

وانتقلت قيادة المسلمين إلى سعد بن أبي وقاص - رضي اللّه عنه - الذي سار إلى العراق في الوقت الذي مرض فيه المثنى بن حارثة، ثم انتقل إلى رحمة اللّه.

فارس «إيران»:

دولة الفرس الساسانيين الذين كانوا سادة هضبة إيران حتى نهر المرغاب، كانت دولة ذات سلطان وقوة ونظام.. وكانت حدودها تضم أفغانستان وأجزاء من الهند وتركستان والقوقاز وآسيا الصغرى، وبلاد الكلدان، وآشور (العراق) وسورية ومصر.

وكان قلب الإمبراطورية في بلاد العراق، وعاصمتها المدائن التي تسمى طيشفون على نهر دجلة.

وفارس القديمة هي إيران حاليا، بعد أن اقتطعت منها أقاليم كثيرة حظيت بالاستقلال، وقامت فيها دول قوية. وكان قلب الدولة الإيرانية ومصدر ثرائها في إقليم خراسان وقاعدته نيسابور.

كان الجيش الفارسي أيام الساسانيين من أعظم جيوش الدنيا، وامتاز بقوة الفرسان فيه، واشتهر مشاة الفرس بقوة مِراسهم في الحرب بالإضافة إلى ما كان لديهم من الأسلحة العظيمة، وكانوا يعتمدون على استخدام الفيلة في حروبهم.

ولعصر الملوك الساسانيين أهمية خاصة في تاريخ فارس؛ فقد حكموا خلال الفترة من ٢٢٦م إلى ٦٥١م، ووحدوا فارس خلال تلك الفترة، وظلّ سلطانهم قائماً فيها حتى دخلها الإسلام. وكان عليهم خلال فترة حكمهم أن يجمَعوا فارس على ثلاث جبهات: جبهة البيزنطيين في أرمينية وآسيا الصغرى، وجبهة القبائل العربية في بادية العراق وإقليم الجزيرة، وجبهة الترك الذين كانوا يغيرون على الحدود الشمالية والشرقيّة للبلاد.

وكان الملوك الساسانيون يطلقون على أنفسهم اسم (خسرو). ولذلك أطلق عليهم العرب اسم الأكاسرة. وكان آخر ملوك الدولة الساسانية هو يزدجرد الثالث بن شهريار، وهو الملك الذي حاربه المسلمون وانتصروا عليه.

كان الفرس قبل الإسلام يدينون بديانات وثنية، منها الزرادشتية التي تقوم على عبادة النار، وسمّاها العرب المجوسية، ولم يجبر المسلمون الأوائل الفرس الساسانيين على ترك لغتهم الفارسية أو الدخول في دين الإسلام؛ فقد بقي بعض الفرس على دينهم مع دفع الجزية، كما بقيت اللغة الفارسية، وهي لغة تكتب بحروف عربية.

تبلغ مساحة إيران الحالية ١,٦٢٨,٠٠٠ كم٢. وتُحَدُّ من الشمال ببلاد القوقاز التابعة للجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، وببحر قزوين، ويحدُّها من الجنوب خليج عمان والخليج العربي، ومن الغرب العراق وتركيا، ومن الشرق أفغانستان وباكستان. وتعداد الإيرانيين ٩٠٠ ٠٠٠ ٥٣ نسمة (إحصاء ١٩٩٠م). وأهم مناطق إيران الحالية هي خراسان وكرمان وفارس وأصفهان وكاشان وطهران (العاصمة)، ومازندان وخوزستان (عربستان) وكورستان وهمدان وكردستان وجيلان. وكان إقليم خراسان يُعدّ قلب الدولة ومصدر ثرائها.

وكلمة إيران تعني من صياغتها موطن الآريين، وقد أطلقت (إيران) على الهضبة المرتفعة الواقعة جنوبي بحر قزوين؛ حيث نزل بها الآريون عند هجرتهم إلى هذه المناطق، ثم أطلق الاسم ليشمل البلاد كافّة، فأصبحت البلاد تسمى إيران منذ عام ١٩٣٥م. أما (فارس) فهو اسم ولاية تقع شمال شرقي الخليج العربي، وكانت بها عاصمة البلاد قديماً. وأطلق اسم (فارس) قديماً على البلاد كلها تمجيداً للعاصمة.

وفي إيران يزرع القمح والأرز والقطن في المناطق الصالحة للزراعة.

كما أن لإيران شهرة واسعة في صناعة السجاد، وبها كثير من المعادن

مثل الفحم والكوبالت والنحاس وأكسيد الرصاص وأكسيد الحديد. وأهم مصادر الثروة فيها البترول.

ومن أشهر المدن حاليا في إيران طهران العاصمة، وتبريز في منطقة أذربيجان وأصفهان، وقم ومشهد وهما المدينتان اللتان يجتمع فيهما علماء الدين الإيرانيون.

بلاد ما وراء النهر:

هي البلاد التي تقع بين نهر جيحون ونهر سيحون اللذين توجد منابعها في هضبة بامير، ويصبان في بحيرة خوارزم. وأهم الممالك التي كانت تقع فيه هذه البقاع:

- مملكة طخارستان على جانبي نهر جيحون، وعاصمتها بلخ.

- مملكة صفانيان شمال نهر جيحون، وعاصمتها شومان.

- مملكة الصفد، وتمتد من جيحون إلى سيحون، وعاصمتها سمرقند. وأهم مدنها بخارى.

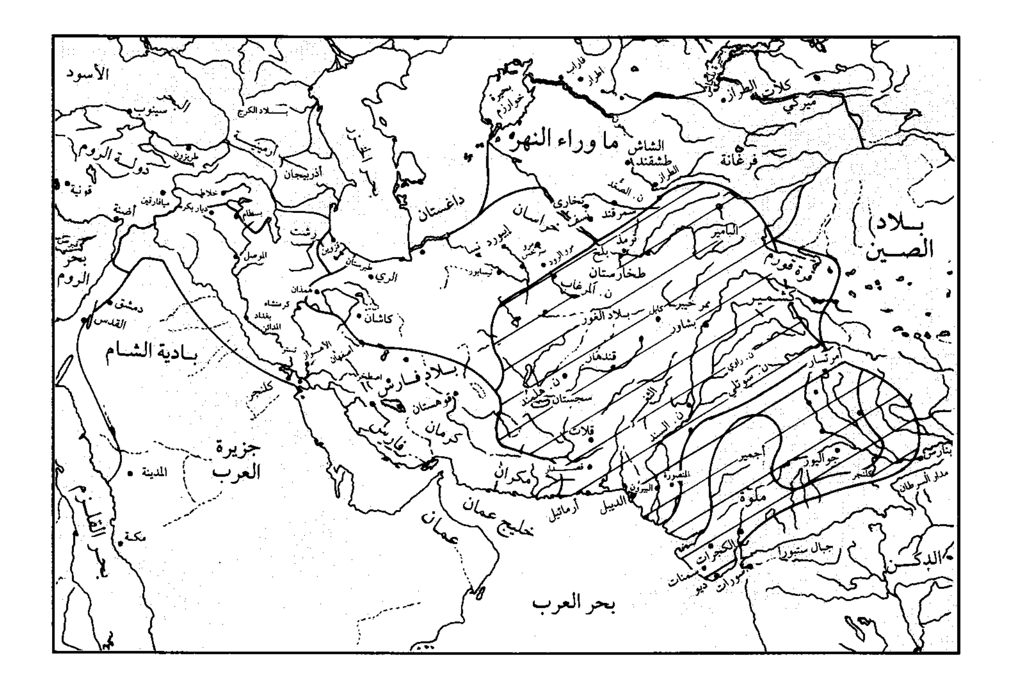
- مملكة فرغانة على جانبي نهر سيحون، وعاصمتها كاشان. وكان ملكها يلقب بالإخشيد.

- مملكة خوارزم في أعلى نهر سيحون، وعاصمتها الجرجانية.

- مملكة أشروسنة في الشرق من فرغانة .

- مملكة الشاش في شمال نهر سيحون .

ولم تكن لهـذه الممـالك حـدود ثابتـة ، وكـاد العـدوان بينهـا أن يكون مستمرا ، كذلك كانت عرضة لعدوانٍ من الترك والصينيين المجاوِرين لها .



بلاد الميد:

كانت بلاد الميد تقع في ربع الفازة شرقي بحر الخزر، وجنوبي بحيرة خوارزم، وكانت تضم إقليم خراسان، وعاصمتها مرو. ويليها إلى الشرق طخارستان، وهي على الطريق إلى بلاد السند.

وكانت تسكن تلك البلاد في العقد الأخير من القرن الأول الهجري، والذي يُعدّ عصر الفتح الإسلامي الأول للهند (القرن الثامن الميلادي)- قبائل فقيرة تعد خليطاً من الإيرانيين والترك والهنود. وكان إخضاع تلك القبائل وكفُّ أذاها عن الناس بالبر والبحر من أسباب سير المسلمين إليها وفتحها.

وبهذه المنطقة نزلت فيما بعد قبائل البلوش، مما أعطاها اسم بلوشستان. والإقليم اليوم قسمة بين إيران وباكستان.

* انتشار الإسلام في فارس

أولاً: في عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي:

بدأت المناوشات بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه (١١-١٣هـ/ ٦٣٢ - ٦٣٤م)، واستمرت في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه (١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٤م). وخلال تلك الفترة وقعت معارك شهيرة انتهت بسقوط عاصمة الفرس (المدائن) واستسلام كثير من جيوش الفرس صلحاً أو عنوةً.

(انظر انتشار الإسلام في العراق)

قام عرب البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري خلال تلك الفترة (١-٣٠هـ/ ٦٤٠-٦٥٦م) باجتياح معظم أقاليم الأهواز و(الجبال) وفارس، ووصلت قواته إلى باب خراسان.

وأرسل المغيرة بن شعبة عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م قوات من عرب الكوفة لغزو أذربيجان، وتوغلت هذه القوات في أقاليم طبرستان وجيلان، وقومس.

وخلال خلافة عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ في عام ٢٩هـ/ ٦٥٠م قام واليه على البصرة عبد اللّه بن عامر بفتح إقليم فارس، كما فتح خراسان ونيسابور وسرخس وطوس ومرو، وفتح كرمان. ودخلت خراسان كلها في نطاق الإسلام

وخلال خلافة معاوية بن أبي سفيان قام عبد اللّه بن عامر ـ وكان إذ ذاك والياً على خراسان وسجستان عام ٤١هـ/ ٦٤١ ـ بفتح خراسان وما يليها شرقاً فتحاً نهائيا. وتمكن بمعاونة عبد الرحمن بن سمرة والمهلب بن أبي صفرة وغيرهما من إعادة فتح زارنج عاصمة سجستان وخواش وبست من بلاد سجستان الشرقية، وفتح كابل بعد حصار دام بضعة أشهر، وبهذا كان المسلمون قد فتحوا كل أقاليم دولة إيران الساسانية (الجبال، والريّ، وطبرستان، وفارس، وكرمان، وسجستان، وقوهستان، وخراسان)، وبقي على المسلمين أن يواجهوا الترك في مناطق شرقي إيران.

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وعهد ابنه الوليد وابنه سليمان قام كلٌّ من القادة المشهورين: المهلب بن أبي صفرة، وقتيبة بن مسلم، ومحمد ابن القاسم الثقفي تحت قيادة الحجّاج بن يوسف بكسر شوكة الترك الهياطلة الذين كانوا يساعدون الفرس، وانتهت حملاتهم بفتح كرمان وتأمين الطريق من البصرة إلى خراسان، وأقرّ أهل سحبستان الجزية.

ثانياً: الدول الإسلامية بإيران في العصر العباسي:

كانت بلاد فارس تمتد من العراق إلى بلاد ما وراء النهر، وكان من الطبيعي أن يضعف نفوذ الخليفة العباسي في بعض الفترات، وأن يسعى الولاة للاستقلال عن الخلافة لكي يجعلوا حكم الأقاليم وراثيا في أبنائهم أو إخوتهم وأعضاء أسرهم، فكانوا أحياناً يلجأون لكسب ود الخليفة في

بغداد ليمنحهم حق الولاية الوراثية على تلك الأقاليم، وأحياناً أخرى كانوا يلجأون إلى القوة لإجبار الخليفة على الخضوع لطلباتهم.

ولقد قامت بأقاليم بلاد فارس خلال الفترة من ٢٠٥ - ٦٢٨هـ/ ٨٢٠ - ١٢٣١م ـ وهي فترة تجاوزت أربعة قرون ـ دول إسلامية عديدة، منها:

- الدولة الظاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢٠ - ٨٧٢م، والدولتان الزيادية والزيارية ٢٥٠ - ٣١٦هـ/ ٨٧٣ - ٩٢٧م:

وقد قضت هذه الدول على الثورات الداخلية وثبتت دعائم الإسلام في خراسان وطبرستان جنوب شرقي بحر قزوين، وفي جرجان، ونشرت الإسلام في بلاد الديلم جنوب غربي بحر قزوين.

- الدولة الصفارية ٢٦١ - ٣٧٩هـ/ ٨٧٥ - ٩٨٩م:

بسطت سلطانها على فارس كلها، وأشرفت على حدود خراسان وحدود السند، وأخضعت ملوك (الملتان) و السند وكمران.

- الدولة البويهية ٣٣٤ - ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ - ١٠٥٥م:

وقد اكتمل للبويهيين السلطان على مساحة كبيرة من أراضي الدولة العباسية، ووصلوا إلى بغداد، وتولوا السلطة بها بعد أن استولوا على كرمان، وزحفوا على بلاد الأهواز، واحتلوا واسط.

الغزنويون ٣٤٩ - ٥٧٩هـ/ ٩٤٢ - ١٠٤٠م:

أصبحوا بزعامة محمود الغزنوي ٣٨٩ - ٤٢١هـ/ ٩٩٨ - ١٠٣٠م أكبر

قوة في الشرق الإسلامي. وزحف محمود الغزنوي (محطم الأصنام) على كشمير ودخل سكانُها في الإسلام، وخضعت له سمرقند وبخارى، ومدّ سلطانه إلى أصفهان.

- السلاجقة ٤٢٩ - ٥٥٢هـ/ ١٠٣٨ - ١١٥٧م:

اعتنق السلاجقة - وهم قبائل تركية مهاجرة من أقصى التركستان - الإسلامَ، واستقروا في إقليم ما وراء النهر، وانتصروا على الغزنويين بعد موت السلطان محمود الغزنوي، وأعلنوا قيام دولة السلاجقة عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م، واتسع سلطانهم فشمل بخاري وسمرقند، وما لبثوا أن سيطروا على قصر الخلافة في بغداد.

- الدولة الخوارزمية ٥٨٣ - ٦٢٨هـ/ ١١٨٧ - ١٢٣٠م:

تولى علاء الدين محمد - أشهر سلاطين الدولة الخوارزمية - الحكم عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م، واستطاع أن يوسع ملكه، وأن يضم بلاد ما وراء النهر، واحتل غزنة، وضمها إلى مملكته، ووصلت البلاد الإسلامية إلى أقصى اتساعها عام ٦٠٨هـ - ١٢١١م، عندما شملت دولة خوارزم شاه كل هضبة إيران بالإضافة إلى أذربيجان.

ثالثاً - المغول يبسطون نفوذهم على إيران والعراق:

استطاع جنكيز خان بعد أن خضعت له الغالبية العظمى من قبائل التتار أن يمد سلطانه ليشمل الممالك المجاورة، فأقام إمبراطورية واسعة شملت الصين الشمالية وأواسط آسيا وإيران. وزحفت جيوش جنكيز خان على

أملاك خوارزم عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، واتجهت اتجاهات متعددة في بلاد ما وراء النهر، تقتحم المدن. ودخل جنكيز خان بخارى ليخربها تماماً، وسار منها إلى سمرقند حيث سقطت هي وهراة وطوس والريّ وغيرها.

واحتفظ المغول بإقليم ما وراء النهر، وتركوا ما سواه من أملاك الدولة الخوارزمية، لكنهم عادوا للهجوم عليه مرّة أخرى بعد وفاة جنكيز خان، ووصل المغول إلى حدود أذربيجان عام ٦٢٨هـ/ ١٢٢٨م، وهو العام الذي انتهت فيه الدولة الخوارزمية بمصرع آخر ملوكها جلال الدين فبكرتي.

وبعد أن تمكن المغول من إمارات فارس اتجهوا غرباً، وحقّقوا بعض الانتصارات في شمالي العراق، فاستولوا على مادرين ونصيبين والموصل، ثم استولوا على أربيل التي تعد مفتاح العراق من الشمال، ومنها واصلوا زحفهم نحو سامراء عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م، لكن جند الخلافة أنزلوا بالمغول بالقرب من نهر دجلة هزيمة كبيرة.

وبدأ هولاكو حملته المخربة على الشرق الإسلامي عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، واتجه بكل قواته نحو بغداد، حيث سقطت في يده عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وأنزل بها المغول مذبحة رهيبة، وقتلوا المستنصر، آخر خلفاء بني العباس في بغداد.

واستسلم أمراء الشام، فتقدم هولاكو واحتل حلب ودمشق، لكن مماليك مصر هزموا جيش المغول في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وأنزل الأمراء الأيوبيون في الشام الهزيمة مرّة ثانية بالمغول ٦٦٠هـ/

١٢٦١م، وأسلم خان المغول (بركة خان) عام ٦٦٨هـ/ ١٣٠٠م، وأصبحت دولة المغول دولة إسلامية.

واستطاع تيمور لنك ٧٣٧ - ٨٠٨هـ/ ١٣٣٦ - ١٤٠٥م بسط سلطانه على شرقي ما وراء النهر ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م، ثم شرع في غزو إيران عام ٥٧٨هـ/ ١٣٨٣م، فاحتل هراة واستولى على خراسان وشرق إيران كله، ثم استولى على فارس والعراق، وغزا أذربيجان وأرمينية وبلاد الكرج فيما بين أعوام ٧٨٥- ٧٩٧هـ/ ١٣٨٣- ١٣٩٤م. وحاول أمراء نواحي إيران الثورة على تيمور لنك أثناء انشغاله باحتلال موسكو، لكنه عاد إلى إيران، وأنزل بأهلها مذابح بشعة.

وتوفي تيمور لنك عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م.

رابعاً: خلفاء تيمور لنك ٨٠٧ - ٨٥٣هـ/ ١٤٠٤- ١٤٤٩م:

بعد وفاة (تيمور لنك) قسمت الإمبراطورية، ودخلت في معارك طويلة مع جيرانها فتدهورت الدولة، وتعاقبت على (إيران) دويلات صغيرة حتى ظهرت إلى الوجود دولة (الصفويين).

خامساً: دولة الصفويين ٨٩٨هـ- ١١٤٨هـ/ ١٤٩٢-١٧٣٥م:

كان الأتراك العثمانيون يمدون سلطانهم على آسيا الصغرى وشمال شرقي إيران، فتصدّى لهم إسماعيل الصفوي، وتزعم التركمان الشيعة في الحرب، وتمكن بفضل شجاعتهم من الاستيلاء على تبريز، وأعلن نفسه

شاهاً لإيران ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، وقد تصدى الشاه إسماعيل لحرب السلطان سليم الأول العثماني، ووقع بينهم لقاء دموي في ٩١٠هـ/ ١٥١٤م، في شمال غرب إيران، انتهى بنصر حاسم للعثمانيين الذين احتلوا تبريز، لكن سليمًا الأول اضطر إلى العودة إلى تركيا بسبب فتنة وقعت بين صفوف جنوده.

وانتعشت دولة الصفويين في عصر الشاه عباس ٩٩٦ - ١٠٣٨هـ/ ١٥٨٧- ١٦٢٩م، فاستطاع الثبات أمام الأتراك العثمانيين من جديد، وتمكن من تحويل إيران إلى قوة عسكرية ضخمة، لكنها تدهورت بعد وفاته، واقتسم الأتراك العثمانيون الولايات الإيرانية في الشمال.

سادساً: إيران بعد الصفويين:

تمكن نادر طهماسب الأفغاني الأصل من اعتلاء عرش إيران، وأنشأ الدولة الأفشارية التي حكمت البلاد إلى عام ١٧٤٩م، وأعاد إيران إلى حدودها أيام الصفويين.

وحكم القاجاريون إيران عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، وظلوا يحكمونها حتى عام ١٩٢٥م.

واقتسمت إنجلترا وروسيا إيران في عام ١٩٠٧م، لكن إيران عادت دولة مستقلة عندما اتفق الإنجليز والروس على الانسحاب من إيران، وكان الانقلاب الشيوعي قد وقع في روسيا عام ١٩١٧

وفي فبراير عام ١٩٢١ بدأ رضا بهلوي زحفه بقواته، وأسقط القاجاريين عام ١٩٢٥م، وبدأ العصر البهلوي في إيران لتحكمها أسرة الشاهات حتى عام ١٩٧٩م.

قامت الثورة الإيرانية في يناير ١٩٧٩م، وطالبت بتنحية الشاه محمد رضا بهلوي آخر من حكم إيران من أسرة الشاهات، ولا زالت الثورة الإيرانية تحكم إيران حتى الوقت الحاضر.

* أماكن ومدن لها تاريخ

أَرَدُبيل:

بلدة في شرق أذربيجان على خط طول ١٧َ، ٤٨ْ شرقاً، وخط عرض ١٥َ، ٣٨ْ شمالاً، وتبعد عن الحدود السوفيتية بأربعين ميلاً، ويبلغ ارتفاعها ٤٥٠٠ قدم عن سطح البحر، وتقوم على هضبة مستديرة تحيط بها الجبال. وأردبيل عاصمة شهرستان.

تقع أردبيل في منطقة باردة، ولا يوجد حولها إلا أشجار قليلة، وتقوم الزراعة على الرَّي؛ فلا توجد أمطار كافية.

وكانت أردُبيل مقرّاً لَمرْزُبان أيام الفتح الإسلامي لأذربيجان، وقد أخذَتْ أردُبيل صلْحاً، ولم تزلْ أردُبيل عاصمة لأذربيجان طوال عهد الخلافة الأموية؛ فقد استولى عليها الخَزَرُ عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م. وقد عانت أردُبيل

من الصراع بين الحكام المحليين، كما عانت من غزوات الروس في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، كما استولى المغول على أردُبيل عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وأعملوا بها التخريب، وفقدت ما كان لها من شأن، حتى ظهور صفي الدين الصفوي الذي جعل من أردُبيل قاعدة لطريقته الصوفية في نهاية القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وفي عام ١٤٩٩م عاد ابنه إسماعيل من منفاه في جيلان إلى أردُبيل، وبدأ بذلك عهد الأسرة الصفوية هناك.

أصبحت أردُبيل حرماً للصفويين؛ حيث حظي ضريح صفي الدين ومسجده بالهدايا.

وأخذ العثمانيون أردبيل أمداً قصيراً في نهاية الحكم الصفوي، لكن نادر شاه استردّها

أصفهان «أصبهان»

مدينة ومقاطعة إيرانية تقع في الغرب بين العراق ويزد، وكاشان. وأصفهان المدينة بلدة قديمة تقع على نهر زندة، فتحت في خلافة عمر على يد عبد اللّه بن عتبان عام ١٩هـ/ ٦٤٠م. وقيل إن فاتحها هو أبو موسى الأشعري عام ٢٣هـ/ ٦٤٤م، بعد أن تمّ له فتح نهاوند التي تقع إلى شمالها الغربي.

ودخلت أصفهان تحت حكم الدولة السامانية إبّان القرن الرابع الهجري، وتحت حكم الدولة الغزنوية إبّان القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر

الميلادي، كما كانت مقراً لملك شاه السلجوقي، وافتتحها تيمور لنك عام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، ونكّلَ بأهلها.

وفي العصر العثماني فتحها السلطان سليمان القانوني عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، وفي عام ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م حررّها نادر شاه من الحكم الأفغاني.

وكان الشاه عباس الأول قد جعل منها عاصمة لبلاده، وزيّنها بالقصور والمساجد والحدائق، ونقلت العاصمة منذ حكم أسرة القاجاريين إلى طهران.

ومن الآثار الإسلامية في أصفهان مسجد الشاه عباس الأول المغطاة جدرانه بالقاشاني الجميل، وصفحت أبوابه بالفضة، وقصر كردان سراي، والمسجد الشاهاني، وبرج الساعة، ومسجد الصور، وقصر (شهل ستون) أو الأربعين عموداً، وقصر (هشت بهشت).

ويبلغ عدد سكان أصفهان في الوقت الحاضر نحو ٢٠٠,٠٠٠ نسمة.

طبرستان:

اسم أطلقه العرب على ولاية مازندران في بلاد فارس شمالي جبال ألبرز. ويقال إن طبرستان معناها أرض الطبر؛ بسبب الغابات الكثيفة التي تغطي أراضيها واعتماد أهلها على صناعة الاحتطاب.

يكتنف طبرستان من الشمال بحرُ الخزر، ومن الجنوب سلسلة جبال ألبرز، ومن الشرق جرجان، ومن الغرب جيلان. وتربة طبرستان خصبة، وهي جيدة الري، كثيرة الفاكهة.

وأهم مدن طبرستان آمل وسارية وشلوس ورويان. وقبائلها محبة للقتال، وأهلها يشتغلون بصيد الأسماك، وزراعة الأرز والكتان والقنب.

وقد قام سعيد بن العاص بغزو طبرستان عام ٢٩هـ/ ٦٥٠م على عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودخلها مصقلة ابن هبيرة في عهد معاوية على رأس جيش يتكون من ١٠,٠٠٠ مقاتل، لكنه توفي والجزء الأكبر من جيشه بسبب الصخور التي أهالها عليهم سكان الولاية، وحاول محمد بن الأشعث كذلك غزو طبرستان، لكن النتيجة كانت الفشل. ونجح يزيد بن المهلب في عهد سليمان بن عبد الملك في أن يجبر حكام طبرستان على توقيع الصلح مع المسلمين ودفع الجزية، وكانت ٤,٧٠٠,٠٠٠ درهم إلى جانب أربعين حمل حمار من الزعفران و ٤٠٠ رجل يحمل كل منهم درْعاً وكأساً من الفضة ونمرقة من الحرير. . ونقض أهل طبرستان معاهدة الصلح بعد ذلك فتكررت الحملات إليهم في عهد الخليفة المنصور وفي عهد المأمون، وانتقلت ولاية طبرستان بعد ذلك إلى حكم عبدالله بن طاهر والي خراسان الذي كان أخا المعتصم الخليفة العباسي.

اعتنق حكام طبرستان الإسلام عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، ودخلت حكم السامانيين ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، ودخلت كذلك تحت حكم الغزنويين ثم تحت حكم السلاجقة.

* قادة الجيوش الإسلامية في فتوحات فارس وما وراء النهر

أبو موسى الأشعري ٢١ق. هـ - ٤٤هـ/ ٦٠٢ - ٦٦٥م:

هو عبد اللّه بن قيس من الأشعريين من اليمن. قدم على رسول الله ﷺ في جماعة من الأشعريين فأسلموا، وأول غزوة شهدها غزوة خيبر. وكان يقال لأمه «طفية»، والطفية خوصة من شجر الدوم. وأمه من (عكّ) وأسلمت، وماتت بالمدينة.

وكان لأبي موسى إخوة أسلموا، منهم أبو عامر بن قيس الذي قتل يوم أوطاس، وأبو بردة بن قيس، وأبو رهم بن قيس، ولم يروِ الأخير عن النبي ﷺ شيئاً.

وكان أبو موسى خفيف الجسم قصيراً، لا لحية له، وكان حسن الصوت بالقرآن. كان صحابيا من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين.

وكان أبو موسى ممن هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم استعمله رسول اللّه ﷺ على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة عام ١٧هـ/ فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان أقرّه عليها، ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقرّه علي. ثم كانت وقعة الجمل، وأرسل علي يدعو أهل الكوفة لينصروه فأمرهم أبو موسى بالقعود، فعزله علي، فأقام إلى أن كان

التحكيم فرجع أبو موسى إلى الكوفة فتولى بها. وفي الحديث «سيد الفوارس أبو موسى». وقد روى عن الرسول ﷺ ٣٥٥ حديثاً.

وقد أسندت إلى أبي موسى الأشعري في عهد عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ مهمة قيادة جيوش البصرة المتجهة شرقاً إلى وسط إيران وإلى شمالها الشرقي؛ ليفتح إقليم خراسان، قلب إيران.

فاجتاح أبو موسى الأشعري أقاليم الأهواز والجبال وفارس، ووصل إلى باب خراسان (الطبسين) في إقليم قوهستان، وكانت تلك الغزوة مقدمة لسلسلة غزوات الجيوش الإسلامية التي تبعتها لنشر الإسلام شرقاً في إيران وبلاد ما وراء النهر، فبلغت بلاد السند والهند والصين فيما بعد.

الأحنف بن قيس:

سياسي وقائد وحكيم. هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي، ضربت به العرب المثل في الحلم. ولد بالبصرة عام ٣ قبل الهجرة/ ٦١٩م، ووفد على عمر في المدينة، فقرّبه إليه، واشترك عام ١٨هـ في غزو الفرس، وشهد صفين مع علي فأغضب بذلك معاوية، ولكن معاوية كان يصانعه لمكانته بين قومه، وفيه يقول معاوية:

«هذا الذي إذا غضب غضبت له مائة ألف، لايدرون فيم غضب».

ثم اشتهر بمحاربة الخوارج لاسيما الأزارقة، فأنفذ إليهم المهلب بن أبي صفرة عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وناصر مصعب بن الزبير في حربه مع المختار الثقفي، وينسب إليه قصر الأحنف بخراسان.

كان الأحنف بن قيس أحد القادة الذين اعتمد عليهم عبد اللّه بن عامر، وفي عام ٣١هـ/ ٥٦٢م خرج الأحنف بن قيس إلى مرو الروز معقل الساسانيين الحصين في جنوب خراسان ففتحها، وفتح في طريقه حصن الرستاق الذي عرف بعد ذلك بقصر الأحنف.

وخرج الأحنف بن قيس من مرو الروز إلى بلخ فاستسلمت له، وعقد صلحاً مع الفارياب والطالقان وهم من الترك الهياطلة الذين كانوا يساعدون الفرس على المسلمين، وتمكن الأحنف بعد ذلك من فتح الجوزجان.

وتوفي الأحنف بن قيس عام ٧٢هـ/ ٦٩١م، وللجلودي كتاب في سيرته سمّاه أخبار الأحنف.

إسماعيل الصفوي:

مؤسس أسرة الصفويين بفارس، انحدر من أسرة من الدراويش، استقرت بأردُبيل من أعمال أذربيجان منذ عهد صفي الدين الذي يقال إنه من نسل الإمام موسى الكاظم، وإسماعيل هو ابن الشيخ حيدر.

بعد وفاة أوزون نحو ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، وخلال الفوضى التي أعقبتها ألَّف إسماعيل جيشاً من سبعة آلاف رجل، مستعيناً في ذلك بأتباع والده، وبالقبائل التركية التي انحازت إلى جانبه، واستولى على شروان وأذربيجان والعراق العجمي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، ولُقِّبَ بلقب الشاه. وامتدت

ممتلكاته إلى هراة شرقاً، وديار بكر وبغداد غرباً، ونشر بالقوة مذهب الشيعة في الأقاليم الجديدة التي فتحها، فأهاج ذلك جيرانه في الشمال والغرب؛ فقد كان خان بخارى وسلاطين العثمانيين من أهل السنة.

وأصبح إسماعيل الصفوي بعد انتصاره على زعيم التركستان - واسمه محمد شيباني خان - سلطاناً لخراسان كلها، ولكنه لم يستطع منع الأزابكة من إقامة دولة مستقلة في خوارزم جعلوا عاصمتها خيوه.

ونشبت بين إسماعيل وبين السلطان سليم الأول معركة في سهل جالديران شرقي بحيرة أرمية عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، هزم فيها إسماعيل، وأخذ السلطان سليم تبريز عاصمة إسماعيل وأرض الجزيرة وغربي أرمينية إلى الموصل.

وتوفي إسماعيل عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م ودفن بأردبيل، حيث توجد مقابر الصفويين.

الجراح بن عبد اللّه الحكمي:

قائد عربي من مشاهير الولاة الفاتحين إبان حكم الدولة الأموية، وهو عقبة ابن عبد اللّه الحكمي، من أهل دمشق، تولّى على البصرة إبان ولاية الحجاج على العراق. وفي عام ١٠٠ هـ/ ٧١٨م ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز على خراسان خلفاً ليزيد بن المهلب، ولكن ولايته لم تدم سوى سنة لشدَّة بلغت الخليفة عنه.

وفي عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م ولاه يزيد بن عبد الملك على أرمينية فغزا الخزر (بلاد القوقاز). وفتح حصن بلنجر واستولى على كثير من الأسرى والأموال وبعد أن عُزل فترة أقامه الخليفة هشام بن عبد الملك والياً على أرمينية خلفاً لمسلمة بن عبد الملك أخي الخليفة فدخل الجراح مدينة تفليس وتقدم نحو بلاد الخزر فاتحاً إلا أنه استشهد في قتاله بناحية بلنجر عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م، فأقام هشامُ سعيدَ الحرشي مكانه، فانتقم لمقتله، وأطلق الأسرى والسبايا، وبلغت فتوحاته بلاد الخزر.

حبيب بن مسلمة الفهري ٢ ق.هـ - ٤٢هـ/ ٦٢٠ - ٦٦٢م:

حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي، أبو عبد الرحمن، قائد من كبار الفاتحين، يقرن بخالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح. ولد بمكة ورأى رسول اللّه ﷺ، وخرج إلى الشام مجاهداً في أيام أبي بكر، فشهد اليرموك، ودخل دمشق مع أبي عبيدة، فولاه أبو عبيدة أنطاكية، ثم أمره عمر بن الخطاب بإمداد سراقة بن عمرو، فسار حبيب إلى أرمينية وتوغل فيها. ثم قصد المدينة حاجّا فأكرمه عمر، وعاد إلى الشام حيث كان معاوية واليا عليها، فكان يُغزيه الرومَ إلى أن ولاه عمر على الجزيرة، وضم إليه أرمينية وأذربيجان، ثم عزله، فأقام في الشام.

ولما استُخلف عثمان بعثه هو وسلمان بن أبي ربيعة لإخضاع جماعة انتقضوا في أذربيجان، فأخضعاهم. وكان معاوية يستشيره في كثير من شئونه، وكان يقال له (حبيب الروم) لكثرة دخوله بلادهم ونيله منهم،

وأخباره في سير الفتوح كثيرة، وهو فاتح الكثير من بلاد أرمينية حتى بلغ القوقاز من جهة البحر الأسود.

وكان عثمان يريد توليته أرمينية كلها إلا أنه خاف أن تشغله السياسة عن القيادة، فاكتفى بأن كلفه بغزو ثغور الشام والجزيرة، ولما صفا المُلك لمعاوية ولاه أرمينية، وتوفي فيها.

عبد اللّه بن خازم:

هو قيس بن هيثم عبد اللّه بن خازم، أحد القادة الكبار الذين عملوا مع عبد اللّه بن عامر بن كريز في عهد خلافة عثمان بن عفان - رضي اللّه عنه - لإخضاع خراسان ووسط إيران.

فتح عبد اللّه بن خازم سرخس واستسلمت له طوس، وعقد مع أهل هراة، واستسلمت له مرو مقابل دفع جزية كبيرة. ثم كان عبد اللّه بن خازم والياً على خراسان.

عبد اللّه بن عامر:

هو عبد اللّه بن عامر بن كريز من قبيلة عبد شمس، وابن عَمٍّ للخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي اللّه عنه.

يرجع إليه الفضل في إدخال تغيير حاسم على طبيعة الفتح الإسلامي في إيران؛ فبعد أن كان المسلمون يعتمدون على الضربات السريعة الخاطفة، ثم العودة إلى قواعدهم التي خرجوا منها حوّل تلك الهجمات إلى فتح دائم مستقر.

تولّى عبد اللّه بن عامر ولاية البصرة أواخر عام ٢٩هـ/ ٦٥٠م، وقد تمكن بفضل من عاونه من القادة المسلمين، ومنهم عثمان بن حنيف وعبد اللّه ابن العباس بن عبد المطلب من أن يتم فتح إقليم فارس وأن يُحَول قاعدته اصطخر إلى قاعدة إسلامية.

وخرجت جيوش عبد اللّه بن عامر من فارس لفتح خراسان عام ٣١هـ/ ٦٥١م.. فمرّ بكرمان ثم ألطبسين، وعقد مع أهلهما صلحاً ثم تقدم فحاصر نيسابور وفتحها بعد حصار دام عدَّة شهور.. وكان نتيجة فتح نيسابور أن أدرك أهل مدن خراسان الأخرى أنهم لن يستطيعوا الصمود أمام العرب فطلبوا الصلح وأدّوا الجزية.. وكان يترك لأصحاب السلطان من الفرس في المدن والقرى أمر جمع الأموال التي قررّت معاهدات الصلح أن يتسلمها المسلمون.

وقد تمكن عبد اللّه بن عامر من إدخال خراسان كلها في نطاق دولة الإسلام. وفي عام ٣٢هـ/ ٦٥٢م أرسل عبد اللّه بن عامر قائده الأحنف بن قيس، ففتح مرو، معقل الساسانيين الحصين في جنوب خراسان. وهكذا وصل المسلمون إلى نهاية حدود بلاد الجنس الإيراني عند نهر المرغاب.

وتمكن مجاشع بن مسعود السلمي أحد قادة عبد اللّه بن عامر من فتح كرمان وهكذا تمّ تأمين الطريق من البصرة إلى خراسان.

وأرسل عبد اللّه بن عامر قُوَّةً إلى سجستان بقيادة الربيع بن زياد الحارثي ففتح زارنج قاعدة الإقليم وعدداً آخر من مدنه، واعترف له أهل سجستان بالجزية.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان عُين عبد اللّه بن عامر واليا على البصرة فصمم عبد اللّه على فتح خراسان وبقية بلاد إيران فتحاً نهائيا، فجهز جيشاً قويا بقيادة عبد الرحمن بن سمرة قام بفتح زارنج عاصمة سجستان، وواصلت القوة سيرها ففتحت كابل بعد حصار دام بضعة أشهر.

وهكذا أتمّ المسلمون فتح كل أقاليم دولة إيران الساسانية.

عمار بن ياسر: ٥٧ق. هـ - ٣٧هـ / ٥٦٧ - ٦٥٧م:

عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني أبو اليقظان، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به. هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحُداً والخندق وبيعة الرضوان. وكان النبي ﷺ يلقبه (الطيب المطيَّب). وفي الحديث «ما خُيرَ عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما». وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، بناه في المدينة وسماه قباء. وولاه عمر الكوفة، فأقام زمناً ثم عزله، وشهد الجمل وصفين مع علي.

وقتل في موقعة صفين، وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة، وله اثنان وستون حديثاً، وكتب فيه عبد اللّه السبيني كتاب (عمار بن ياسر) يعالج به سيرته.

وقد شارك عمار بن ياسر في المعارك التي جرت في وسط إيران وشمالها الشرقي، ففي الوقت الذي كان فيه أبو موسى الأشعري يتجه إلى تلك المناطق كان عمار بن ياسر يتخذ وجهته إلى جنوب بحر الخزر (بحر قزوين)

وإلى إقليم جرجان، وكان هدف عمار إخضاع هذا الإقليم والتوسع في إقليم أذربيجان وفي أرمينية (بلاء الكرج)، كما قاد حملة إلى الري.

ولم يكن القادة المسلمون قد انتهجوا سياسة الاستقرار في الأماكن التي يتوجهون إليها بعد في شرق فارس؛ إذ إن هذه السياسة يرجع الفضل في انتهاجها إلى عبد الله بن عامر بن كريز.

مسلمة بن عبد الملك ١٢٠هـ/ ٧٨٣م:

مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير قائد من أبطال عصره من بني أمية في دمشق، كان يلقب بالجرادة الصفراء. له فتوحات مشهورة، سار في ١٢٠,٠٠٠ لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان بن عبد الملك. وقاد مسلمة حملة كبيرة ضد الخزر وهزمهم في (ورثان)، ونجح في احتلال مدينة الأبواب، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية، وغزا الترك والسند عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م، ومات بالشام. وإليه نسبة بني مسلمة، وكانت منازلهم في بلاد الأشمونيين بمصر. قال عنه الذهبي: «لقد كان أولى بالخلافة من سائر إخوته».

المهلب بن أبي صفرة:

ويقال له أيضاً أبو صفرة، من أزد العتيك، فيما بين عُمان والبحرين، كان من بين أهل (دَبا) الذين بعث إليهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عكرمة بن أبي جهل، فقاتلهم وأثخن فيهم بسبب ارتدادهم عن الإسلام، وكان أبو صفرة لا يزال غلاماً لم يبلغ، فأعتقه عمر فكان ممن نزل البصرة.

وكان المهلب الذي يُكَنّى أبا سعيد من أشجع الناس، وحمى البصرة فأصبحت تسمى بَصرة المهلب.

ولِّي خراسان فعمل عليها خمس سنين، ومات بمرو الروذ ٨٣هـ/ ٧٠٢م. واستخلف ابنه يزيد بن المهلب وكان ابن ثلاثين سنة، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج ومشورته وولّى قتيبة بن مسلم

نجم الدين إيلغازي:

لقب إيلغازي لفظ سلجوقي، معناه بالعربية بطل الشعب، ونجم الدين إيلغازي كان حاكماً سلجوقيا محليا عن الأسرة الأرتقية، تولى السلطان في شمالي ما بين النهرين (جيحون وسيحون)، أبوه أرْتُق، وكان نجم الدين مسانداً لصهره (تتش) في نضاله الخطير في سبيل عرش الإمبراطورية السجلوقية في بلاد فارس. وعندما مات تتش عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م انسحب نجم الدين إلى بيت المقدس الذي كان تتش قد أقطعه له ولأخيه سقمان معاً. وقد اضطر الأخوان إلى تسليم بيت المقدس للمصريين بعد حصار دام أربعين يوماً، وكان ذلك في شعبان ٤٨٩هـ/ يوليو وأغسطس ١٠٩٦م.

وانضم إيلغازي إلى السلطان محمد، المطالب الجديد بالعرش، فأقامه والياً على بغداد عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠ - ١١١١م. وظل نجم الدين يشغل هذا المنصب المهم الرفيع أربع سنوات، التحق بعدها بخدمة السلطان بركياروق وابنه السلطان ملكشاه.

استولى نجم الدين إيلغازي فيما بين ٤٩٨ - ٥٠١ هـ/ ١١٠٥ - ١١٠٨م على حصن ماردين، وكان حصناً منيعاً، بل كان من أهم الحصون في الشرق الأدنى بأسره، وكان نجم الدين الأمير على نصيبين عام ٥٠١هـ.

رفض نجم الدين إيلغازي الاشتراك في الحرب التي شنها الأمراء المسلمون على الصليبيين بناءً على أوامر السلطان محمد، بل ذهب إلى حد مهاجمة قائد عام جيش المسلمين أق سنقر، فأوقعوا به الهزيمة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م.

وأرسل السلطان إلى نجم الدين رسالة تهديد فهرب إلى دمشق حيث رَحَّبَ به طغتكين، وكان على علاقة سيئة بالسلطان. وعقد الاثنان اتفاقاً مع الفرنجة، لكن خير خان والي حمص اعتقله، واستنجد بالسلطان ليحميه من هجمة قد يقوم بها طغتكين، وتأخر وصول جيش السلطان، فأطلق خير خان سَرَاحَ نجم الدين الذي وصل إلى حلب واحتلها بمساعدة طغتكين.

وأنشأ إيلغازي علاقات طيبة مع الحكومة السلجوقية بعد ذلك. وقد حرص إيلغازي على الحفاظ على حلب وحمايتها من الصليبيين، وأوقع بالصليبيين في قرية بلاط في وادي تل عفرين عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م، فباغتهم ومزّق معظمهم إرباً إرباً أو أخذهم أسرى.

وكانت المعركة من أكبر المعارك التي فاز فيها المسلمون على الصليبيين. وكان روجر أمير أنطاكية ممن لقوا حتفهم في المعركة. وكان من نتيجة

المعركة أن أصبحت أنطاكية مجردة من الدفاع، عند موطئ قدم نجم الدين إيلغازي لكنه أهمل الاستيلاء عليها.

ذاعت شهرة نجم الدين إيلغازي بعد المعركة لمقدرته العسكرية في طول البلاد وعرضها، ووُلّي القيادة العامة لجيوش المسلمين في الحرب التي كان السلطان محمود يشنها على الكرج المسيحيين.

وتوفي إيلغازي بعد ذلك في غرة رمضان ٥١٦هـ/ ٣من نوفمبر ١١٢٢م.

الفهرست

انتشار الإسلام في آسيا


العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢

القاموس الإسلامي

للناشئين والشباب

إعداد ومراجعة: نخبة من أعلام الكُتّاب والباحثين

هذا القاموس محاولةً غير مسبوقة في صياغته وإعداده وفي الفئة التي أعدَّ من أجلها إعداداً يتناسب في مادته ولغته وأسلوب عرضه مع احتياجاتها الفكرية والنفسية والتربوية.

إنه قاموس متخصص يعالج المصطلحات الشرعية اللازمة لتثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة لدى الناشئين والشباب في العبادات والمعاملات، ويوفر لهم الزاد اللازم عن أبرز معالم الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والقيم التي أرساها الإسلام ورسَّخ أصولها.

ويتكون هذا القاموس من خمسة عشر جزءاً تتضمن المواضيع التالية:

١) العقيدة
٢) الطهارة
٣) الصلاة
٤) الزكاة
٥) الصوم
٦) الحج والعمرة
٧) الجهاد
٨) الأسرة المسلمة
٩) المعاملات الإسلامية
١٠) انتشار الإسلام في آسيا
١١) انتشار الإسلام في إفريقيا
١٢) انتشار الإسلام في أوروبا
١٣) نظم الحكم في الدولة الإسلامية
١٤) ازدهار العلوم والفنون الإسلامية
١٥) مفاهيم وقيم إسلامية

ردمك ٦-٣٩٥-٢٠-٩٩٦٠

97080506000206